جماعة أنصار السنة المحمدية
فرع بلبيس – اللجنة العلمية

الخطب المهمة لدعاة الأمة

شهر محرم (١٤٣٦هـ)

إشراف ومراجعة
د/ صبري عبد المجيد
الشيخ/ أحمد بن سليمان

إعداد
أحمد عبد السلام
هاني الشيخ
سيد عبد العال
عبد الرحمن الفواخري
صالح حسون

صناعة الإرهاب

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين محمد بن عبد الله ﷺ، وبعد

فإن الإسلام قد حث على إتقان الصناعة فقال تعالى { **وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلاً يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ (١٠) أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ**} [سبأ: ١٠-١١]. أي: لَا تُدِقّ الْمِسْمَارَ فَيقلَق فِي الْحَلْقَةِ، وَلَا تُغَلّظه فَيَفْصِمَهَا، وَاجْعَلْهُ بِقَدَرٍ.

والإرهاب صناعة وهو على قسمين:

الأول: إرهاب مشروع بصريح القرآن: {**وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ- وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ**} [الأنفال: ٦٠-٦١].

فإن إخافة العدو الكافر المعاند لدعوة الله بالجهاد في سبيل الله وإرجافه بالعدة والقوة من مقاصد الجهاد الإسلامي، ليكف شره، وينتهي عن ظلمه، ولعله أن يهتدي إلى دين الله عز وجل

والثاني: إرهاب غير مشروع، بل هو محرم وممنوع: في تخويف الآمنين وإدخال الرعب والفزع عليهم، سواء كانوا مسلمين أو مستأمنين أو معاهدين أهل ذمة أو غيرهم وهذا لا شك في تحريمه باتفاقٍ، لكن القضية تكمن في كيفية علاجه وهذا لن يكون إلا بنزع أسباب الإرهاب والتطرف، وللأسف فإن دولاً تقوم على تصنيع الإرهاب بإتقان وعناية فائقة فإذا أردنا علاج الإرهاب فلا بد من معرفة الأسباب المؤدية إلى وقوع العنف والغلو والتطرف في البلاد وبين الشباب

وها هي أهم مقومات صناعته:

أولا: تنحية الشريعة عن كل مجالات الحياة

وهذا من أخطر أسباب ظهور الإرهاب فعندما يرى الشباب أن شريعتهم الربانية لا دخل لها في حياة الأمة لا في سياستها ولا في اقتصادها ولا في مناهج تعليمها فإن ذلك لا بد أن يولد حالة من اليأس والنقمة على المجتمع بكل أطيافه رئيسًا كان أو مرؤوسًا خاصة إذا رضي وتابع، عَنْ أُمِّ

سَلَمَةَ رضي الله عنها، زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: "إِنَّهُ يُسْتَعْمَلُ عَلَيْكُمْ أُمَرَاءُ، فَتَعْرِفُونَ وَتُنْكِرُونَ، فَمَنْ كَرِهَ فَقَدْ بَرِئَ، وَمَنْ أَنْكَرَ فَقَدْ سَلِمَ، وَلَكِنْ مَنْ رَضِيَ وَتَابَعَ"، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، أَلَا نُقَاتِلُهُمْ؟ قَالَ: "لَا، مَا صَلَّوْا"، أَيْ مَنْ كَرِهَ بِقَلْبِهِ وَأَنْكَرَ بِقَلْبِهِ. (١)

وضبط النفس عزيز عند المتحمسين ومن واجبات الإمام إظهار الشرعة المطهرة في المجتمع فإن لم يفعل فقد فتح باب التطرف والإرهاب وكلاهما قد تسبب في صناعة الإرهاب

ثانيا: إعراض الجماهير العريضة عن التدين

فقد تُعرض بعض المجتمعات عن الدين عبادة ومعاملة وخلقًا فلا تعرف من الدين إلا اسمه ولا من القرآن إلا رسمه فتكثر المنكرات وتظهر الفواحش المستقبحات وتنتشر البدع المهلكات ويترك الأمر بالمعروف ويؤمر بالمنكرات وتنقلب موازين الحقائق ويتكلم في الأمر العظيم السفهاء فعندها تطيش الألباب وتقع الفوضى في المجتمعات

ثالثا: تسلط الكافرين والفاسقين على مقاليد الأمور

إذا رأى الشبابُ أهلَ الكفر والفسوق قد تسلطوا على مقدرات المسلمين وملكوا رقابهم وتقلدوا أعلى المراتب فإن ذلك من دواعي انزعاج الشباب الصالح وقد يفقد الصبر الذي أمر الله به في معاملة هؤلاء بالحكمة والموعظة الحسنة فعندها يتولد الشعور بأن الدين مهان ولا بد من تحرير الأوطان ورفع راية السنة والقرآن فيقع التطرف ويقوم له بنيان

رابعا: التضييق على أهل الدين والتوسعة على المارقين

نرى دولًا لا تعتز إلا بمنافقيها وسفهاءها والبطالين فيها وفي المقابل تعامل الصالحين والنابغين معاملة العدو المحارب وكلاهما أبناء وطن واحد ويعيشون على تراب واحد لكن يُعلى من شأن أولئك البطالين ويوضع من شأن المتقين، يكرم أولئك ويهان ذالك، يسمع لأولئك وتصم الآذان عند ذالك عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: " **إِنَّهَا سَتَأْتِي عَلَى النَّاسِ سِنُونَ خَدَّاعَةٌ، يُصَدَّقُ فِيهَا الْكَاذِبُ، وَيُكَذَّبُ فِيهَا الصَّادِقُ، وَيُؤْتَمَنُ فِيهَا الْخَائِنُ، وَيُخَوَّنُ فِيهَا الْأَمِينُ، وَيَنْطِقُ فِيهَا**

(١) صحيح مسلم (١٨٥٤)

الرُّوَيْبِضَةُ " قِيلَ: وَمَا الرُّوَيْبِضَةُ؟ يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ: : " السَّفِيهُ يَتَكَلَّمُ فِي أَمْرِ الْعَامَّةِ "(١)

خامسا: فساد الآلة الإعلامية

فإن الإعلام غدا في الكثير من دول الإسلام من أعظم جنود الشيطان بل أصبح من خيله ورجله في الدعوة إلى الضلالة ونشر البدعة والزندقة وترويج الرّذيلة والفساد، وبالمقابل فإن إسهام الإعلام في نشر الحق والفضيلة يكاد ينعدم، وهذا غالبا ما يستفز الشباب الغيور على دينه إذ يرى في قنواته التي ينبغي أن تكون مصدر هداية ورشد أضحت مصدر إضلال وفتنة، فإذا اقترن ذلك بشيء من قلة العلم والحلم والصبر والحكمة، وغياب التوجيه الشرعي السليم، أدَّى ذلك بالضرورة إلى الصَّلف والقسوة في الأحكام والتعامل، وإلى الإحباط والتشاؤم واليأس عند بعضهم فيندفع إلى التغيير بعنف.

سادسا: ظلم الرعية

نصب الإمام واجب ومن واجباته أن يأخذ الرعية بالرفق والعدل فإن جار فلا بد أن ينحرف الصغار عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ شِمَاسَةَ، قَالَ: أَتَيْتُ عَائِشَةَ أَسْأَلُهَا عَنْ شَيْءٍ، فَقَالَتْ: مِمَّنْ أَنْتَ؟ فَقُلْتُ: رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ مِصْرَ، فَقَالَتْ: كَيْفَ كَانَ صَاحِبُكُمْ لَكُمْ فِي غَزَاتِكُمْ هَذِهِ؟ فَقَالَ: مَا نَقَمْنَا مِنْهُ شَيْئًا، إِنْ كَانَ لَيَمُوتُ لِلرَّجُلِ مِنَّا الْبَعِيرُ فَيُعْطِيهِ الْبَعِيرَ، وَالْعَبْدُ فَيُعْطِيهِ الْعَبْدَ، وَيَحْتَاجُ إِلَى النَّفَقَةِ، فَيُعْطِيهِ النَّفَقَةَ، فَقَالَتْ: أَمَا إِنَّهُ لَا يَمْنَعُنِي الَّذِي فَعَلَ فِي مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ أَخِي أَنْ أُخْبِرَكَ مَا سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، يَقُولُ فِي بَيْتِي هَذَا: **"اللهُمَّ مَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا فَشَقَّ عَلَيْهِمْ، فَاشْقُقْ عَلَيْهِ، وَمَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا فَرَفَقَ بِهِمْ، فَارْفُقْ بِهِ"(٢)**

هذا وإن القضية أكبر من أن يتكلم عليها في أسطر ولا شك أن الإرهاب أسبابه كثيرة ومنها ما يعود على الفرد نفسه من الجهل والعصبية والتنطع في الدين والتحزب المقيت وعقد الولاء والبراء على رايات عُمِّية

لكنها إشارات هامة لعل الله يهدي بها من الضلالة وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم

كتبه

أحمد بن سليمان

---

(١) المسند (٧٩١٢) وصححه الألباني في الصحيحة (١٨٨٨)

(٢) صحيح مسلم (١٨٨٢)

١ـ فضل شهر الله المحرم وعاشوراء

عناصر الخطبة:

وداع عام هجري نبذة عن الأشهر الحرم فضل الصيام في المحرم

فضل صيام عاشوراء بدع ومخالفات في يوم عاشوراء

التفصيل

مقدمة: ها نحن قد ودعنا عامًا هجريًا كاملاً، قد مضى بما أودعناه فيه من خير أو شر، ولا رجعة له إلى يوم الدين، فقد طويت أيامه، وأحصيت أعماله من حسن وسيئ، وعمل صالح أو طالح، ولا نزال نطوي الأيام حتى يقف عمُرُ كلِّ واحدٍ منا حيث كُتب له من السنين والأيام، {فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ } [الأعراف: ٣٤] والعاقل من اتعظ بمرور أيامه وطي سجلاته، واستعد لما أمامه، فاليوم عمل ولا حساب، وغدًا حساب ولا عمل، **{وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ (٥٤) وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ (٥٥) أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَا عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ (٥٦) أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ (٥٧) أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ}** [الزمر: ٥٤ - ٥٨]

نبذة عن الأشهر الحرم:

عباد الله، نحن الآن في شهر الله المحرم أول شهور السنة الهجرية، وقد امتاز هذا الشهر ببعض الفضائل التي يجدر التنبيه إليها، فهو من الأشهر الحرم التي قال الله تعالى فيها: { **إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ**} [التوبة: ٣٦]

وسُميتْ هذه الأشهر حُرُما لتعظيم انتهاك المحارم فيها، فالمعصية فيها أشدّ عقابا، وبالمقابل فإن الطاعة فيها تكون أكثر ثوابا.

قال عليُّ بنُ أبي طلحةَ، عن ابنِ عباس رضي الله عنهما: اختصَّ اللَّهُ أربعةَ أشهر جعلهُنَّ حُرمًا، وعظَّمَ حُرماتهنَّ، وجعل الذَّنْبَ فيهن أعظمَ، وجعلَ العملَ الصالحَ والأجر أعظم.

وقال كعبٌ الأحبار رَحِمَهُ اللَّهُ: اختارَ اللَّهُ الزمان، فأحبُّهُ إلى اللَّه الأشهر الحُرُمُ. (١)

** وقد بلغ تلاعب المشركين بالأشهر مبلغاً غيَّرها عن هيئتها الأولى يومَ خلق اللهُ السماوات والأرض، ولو استمرتْ على تلاعبهم لما كان يقينٌ في صوم ولا حجّ ولضاعتْ معالم الدين وشعائره، ولكنَّ الله بفضله وكرمه جعل حجة النبيِّ ﷺ في السنة العاشرة من الهجرة منطلقاً لضبط الأشهر، فوقوفه ﷺ بعرفة واقع موقعه في اليوم التاسع من ذي الحجة، وعيده في اليوم العاشر منه أيضاً، وأعلنها ﷺ صريحة كما في حديث أَبِي بَكْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: ((**إِنَّ الزَّمَانَ قَدِ اسْتَدَارَ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ، السَّنَةُ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا، مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ، ثَلاَثٌ مُتَوَالِيَاتٌ: ذُو القَعْدَةِ، وَذُو الحِجَّةِ، وَالمُحَرَّمُ، وَرَجَبُ، مُضَرَ الَّذِي بَيْنَ جُمَادَى، وَشَعْبَانَ**)). (٢)

قَالَ الْعُلَمَاءُ: مَعْنَاهُ أَنَّهُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ يَتَمَسَّكُونَ بِمِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ ﷺ فِي تَحْرِيمِ الْأَشْهُرِ الْحُرُمِ وَكَانَ يَشُقُّ عَلَيْهِمْ تَأْخِيرُ الْقِتَالِ ثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ مُتَوَالِيَاتٍ فَكَانُوا إِذَا احْتَاجُوا إِلَى قِتَالٍ أَخَّرُوا تَحْرِيمَ الْمُحَرَّمِ إِلَى الشَّهْرِ الَّذِي بَعْدَهُ وَهُوَ صَفَرٌ ثُمَّ يُؤَخِّرُونَهُ فِي السَّنَةِ الْأُخْرَى إِلَى شَهْرٍ آخَرَ وَهَكَذَا يَفْعَلُونَ فِي سَنَةٍ بَعْدَ سَنَةٍ حَتَّى اخْتَلَطَ عَلَيْهِمُ الْأَمْرُ وَصَادَفَتْ حَجَّةُ النَّبِيِّ ﷺ تَحْرِيمَهُمْ وَقَدْ تَطَابَقَ الشَّرْعُ وَكَانُوا فِي تِلْكَ السَّنَةِ قَدْ حَرَّمُوا ذَا الْحِجَّةِ لِمُوَافَقَةِ الْحِسَابِ الَّذِي ذَكَرْنَاهُ فَأَخْبَرَ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّ الِاسْتِدَارَةَ صَادَفَتْ مَا حَكَمَ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ. (٣)

* فهذه نبذة عن هذه الأشهر العظيمة التي لا يعرفها الكثير منا رغم معرفتنا بأشهر النصارى شهرًا شهرًا، فأكثر الناس لا يعرف ذكر الأشهر العربية ولا ترتيبها، فكيف سيعرف الأشهر الحرم؟! وهذا الجهل بالأشهر القمرية والأخذ بغيرها مفسدة عظيمة؛ لأنه مخالف لما كان عليه رسول الله وأصحابه، ولأنه يُفوِّت على المسلم بعض الشعائر وفضائل الأعمال التي لا تعرف إلا بمعرفة هذه الأشهر، كصيام الأيام البيض مثلاً وهي أيام الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر

(١) تفسير ابن رجب الحنبلي (١/ ٥٢١)

(٢) رواه البخاري (٤٦٦٢) ومسلم (١٦٧٩)

(٣) شرح النووي على مسلم (١١/ ١٦٨)

من كل شهر هجري، التي حثَّ رسول الله على صيامها، فكيف سيصوم هذه الأيام من لا يعرف متى دخل الشهر القمري ومتى خرج؟!

فضل الصيام في المحرم:

وهذا الشهر الذي نحن فيه الآن هو شهر المحرم، شهر عظيم من الأشهر الحرم، نسبه الله عز وجل لنفسه تعظيماً لشأنه ورفعاً لقدره، وقد ورد عنه ﷺ الترغيب في صيام شهر المحرم، كما في حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه يَرْفَعُهُ، قَالَ: **سُئِلَ النبي ﷺ: أَيُّ الصَّلاَةِ أَفْضَلُ بَعْدَ الْمَكْتُوبَةِ؟ وَأَيُّ الصِّيَامِ أَفْضَلُ بَعْدَ شَهْرِ رَمَضَانَ؟ فَقَالَ: "أَفْضَلُ الصَّلاَةِ، بَعْدَ الصَّلاَةِ الْمَكْتُوبَةِ، الصَّلاَةُ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ، وَأَفْضَلُ الصِّيَامِ بَعْدَ شَهْرِ رَمَضَانَ، صِيَامُ شَهْرِ اللهِ الْمُحَرَّمِ"** (١)

قَالَ أَبُو عبيد رحمه الله: إِنَّمَا نسبه إِلَى الله عز وَجل - والشهور كلهَا لَهُ - لتشريفه وتعظيمه، وكل مُعظم ينْسب إِلَيْهِ. (٢)

قال النووي رحمه الله: قَالَ أَصْحَابُنَا وَمِنْ الصَّوْمِ الْمُسْتَحَبِّ صَوْمُ الأشهر الحرم وهي ذوالقعدة وَذُو الْحِجَّةِ وَالْمُحَرَّمُ وَرَجَبٌ وَأَفْضَلُهَا الْمُحَرَّمُ. (٣)

سبب تعظيم يوم عاشوراء:

يوم عاشوراء يوم عظيم، وهو يوم من أيام الله سبحانه، نجَّى فيه نبيه موسى عليه السلام من عدوه فرعون بعد أن تكبر فرعون ورفض دين الحق ولم يسمح لبني إسرائيل باتباع موسى عليه السلام، بل إنه أنكر وجود رب العالمين وقال بكل تكبر وتجبر: ((مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرِي)) [القصص: ٣٨]، ويبين لنا القرآن كيف أهلك الله عز وجل فرعون وجنوده لما طاردوا موسى عليه السلام وبني إسرائيل، فنجى الله موسى وقومه، وأغرق فرعون وجنوده، وجعلهم عبرة للمعتبرين، يقول سبحانه: {وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي إِنَّكُمْ مُتَّبَعُونَ (٥٢) فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ

(١) رواه مسلم (١١٦٣)

(٢) كشف المشكل (٣/ ٥٩٧)

(٣) المجموع (٦/ ٣٨٦)

فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ (٥٣) إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ (٥٤) وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ (٥٥) وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَاذِرُونَ (٥٦) فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (٥٧) وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ (٥٨) كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ (٥٩) فَأَتْبَعُوهُمْ مُشْرِقِينَ (٦٠) فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ (٦١) قَالَ كَلاَّ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ (٦٢) فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ (٦٣) وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الْآخَرِينَ (٦٤) وَأَنْجَيْنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ (٦٥) ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ (٦٦) إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (٦٧) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ} [الشعراء: ٥٢ – ٦٨]، هكذا ذكر لنا القرآن هذه القصة العظيمة وهذه الملحمة والمعركة من معارك الكفر والإيمان التي نصر الله فيها أولياءه وهزم أعداءه، وكانت الغلبة فيها لدينه وشرعه، وجعل كلمة الله هي العليا، وكلمة الذين كفروا السفلى، فهذا الشهر إذًا شهر عظيم، فيه هذه المناسبة العظيمة التي ينبغي أن نقف عندها ونتأمّلها ونستفيد من دلالاتها.

فظل اليهود يعظمون هذا اليوم العظيم يوم عاشوراء، وعندما هاجر رسول الله ﷺ من مكة إلى المدينة وجدهم يصومون هذا اليوم، وعندما علم السبب جعله يوما مميزا من أيام المسلمين، فعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، قَالَ: قَدِمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ الْمَدِينَةَ، فَوَجَدَ الْيَهُودَ يَصُومُونَ يَوْمَ عَاشُورَاءَ فَسُئِلُوا عَنْ ذَلِكَ؟ فَقَالُوا: هَذَا الْيَوْمُ الَّذِي أَظْهَرَ اللهُ فِيهِ مُوسَى، وَبَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى فِرْعَوْنَ، فَنَحْنُ نَصُومُهُ تَعْظِيمًا لَهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "**نَحْنُ أَوْلَى بِمُوسَى مِنْكُمْ فَأَمَرَ بِصَوْمِهِ**". (١)

نعم إخوة الإيمان، نحن أحق بموسى منهم؛ لأن الانتماء إلى الأنبياء ليس انتماء نسب أو بلد، إنما الانتماء للأنبياء يكون باتباع هديهم وتعاليمهم، والمسلمون هم الذين يتبعون هدي الأنبياء وعقائدهم ويؤمنون بهم جميعا، ((لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ)) [البقرة: ٢٨٥]، لهذا كانوا أحق بالأنبياء من أقوامهم الذين كفروا بهم وحرفوا دينهم وبدلوا شرعهم، يقول سبحانه تصديقا لهذا: {إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُواْ وَاللّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ} [آل عمران: ٦٨].

(١) رواه مسلم (١١٣٠)

فضل صيام يوم عاشوراء:

فعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، قَالَ: "مَا رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَتَحَرَّى صِيَامَ يَوْمٍ فَضَّلَهُ عَلَى غَيْرِهِ إِلَّا هَذَا اليَوْمَ، يَوْمَ عَاشُورَاءَ، وَهَذَا الشَّهْرَ يَعْنِي شَهْرَ رَمَضَانَ". (١)

ويصور ابن عباس رضي الله عنهما حرص النبي ﷺ على صيامه فعن ابْن عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، أنه سُئِلَ عَنْ صِيَامِ يَوْمِ عَاشُورَاءَ فَقَالَ: مَا عَلِمْتُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ صَامَ يَوْمًا يَطْلُبُ فَضْلَهُ عَلَى الْأَيَّامِ إِلَّا هَذَا الْيَوْمَ وَلَا شَهْرًا إِلَّا هَذَا الشَّهْرَ. يَعْنِي رَمَضَانَ. (٢)

وعَنْ أَبِي قَتَادَةَ الأنصاري رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قال " **صِيَامُ يَوْمِ عَاشُورَاءَ، أَحْتَسِبُ عَلَى اللهِ أَنْ يُكَفِّرَ السَّنَةَ الَّتِي قَبْلَهُ**". (٣) و في رواية: أنه ﷺ **سُئِلَ عَنْ صَوْمِ يَوْمِ عَاشُورَاءَ؟ فَقَالَ: "يُكَفِّرُ السَّنَةَ الْمَاضِيَةَ"**

قال البيهقي رحمه الله: وَهَذَا فِيمَنْ صَادَفَهُ صَوْمُهُ وَلَهُ سَيِّئَاتٌ يَحْتَاجُ إِلَى مَا يُكَفِّرُهَا فَإِنْ صَادَفَهُ صَوْمُهُ وَقَدْ كُفِّرَتْ سَيِّئَاتُهُ بِغَيْرِهِ انْقَلَبَتْ زِيَادَةً فِي دَرَجَاتِهِ. (٤)

وكان للنبي ﷺ في صيامه أربع حالات: الحالة الأولى: أنه كان يصومه بمكة ولا يأمر الناس بالصوم، عن عَائِشَةَ رضي الله عنها، قَالَتْ: كَانَ يَوْمُ عَاشُورَاءَ تَصُومُهُ قُرَيْشٌ فِي الجَاهِلِيَّةِ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَصُومُهُ، فَلَمَّا قَدِمَ المَدِينَةَ صَامَهُ، وَأَمَرَ بِصِيَامِهِ، فَلَمَّا فُرِضَ رَمَضَانُ تَرَكَ يَوْمَ عَاشُورَاءَ، فَمَنْ شَاءَ صَامَهُ، وَمَنْ شَاءَ تَرَكَهُ. (٥)

الحالة الثانية: أن النبي ﷺ لما قدم المدينة ورأى صيام أهل الكتاب له وتعظيمهم له وكان يحب موافقتهم فيما لم يؤمر به صامه وأمر الناس بصيامه وأكد الأمر بصيامه والحث عليه حتى كانوا يصومونه أطفالهم، فعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَدِمَ الْمَدِينَةَ فَوَجَدَ الْيَهُودَ صِيَامًا، يَوْمَ

---

(١) رواه البخاري (٢٠٠٦)

(٢) رواه مسلم (١١٣٢)

(٣) رواه مسلم (١١٦٢)

(٤) فضائل الأوقات للبيهقي (ص: ٤٣٩)

(٥) رواه البخاري (٢٠٠٢)

عَاشُورَاءَ، فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "مَا هَذَا الْيَوْمُ الَّذِي تَصُومُونَهُ؟ " فَقَالُوا: هَذَا يَوْمٌ عَظِيمٌ، أَنْجَى اللهُ فِيهِ مُوسَى وَقَوْمَهُ، وَغَرَّقَ فِرْعَوْنَ وَقَوْمَهُ، فَصَامَهُ مُوسَى شُكْرًا، فَنَحْنُ نَصُومُهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "فَنَحْنُ أَحَقُّ وَأَوْلَى بِمُوسَى مِنْكُمْ فَصَامَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَأَمَرَ بِصِيَامِهِ". (١)

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، قَالَ: قَدِمَ النَّبِيُّ ﷺ المَدِينَةَ فَرَأَى اليَهُودَ تَصُومُ يَوْمَ عَاشُورَاءَ، فَقَالَ: "مَا هَذَا؟ "، قَالُوا: هَذَا يَوْمٌ صَالِحٌ هَذَا يَوْمٌ نَجَّى اللَّهُ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ عَدُوِّهِمْ، فَصَامَهُ مُوسَى، قَالَ: "فَأَنَا أَحَقُّ بِمُوسَى مِنْكُمْ"، فَصَامَهُ، وَأَمَرَ بِصِيَامِهِ. (٢)

وعَنْ أَبِي مُوسَى رضي الله عنه قَالَ: كَانَ يَوْمُ عَاشُورَاءَ تَعُدُّهُ اليَهُودُ عِيدًا، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "فَصُومُوهُ أَنْتُمْ". (٣)

وعَنْ أَبِي مُوسَى رضي الله عنه قَالَ: كَانَ أَهْلُ خَيْبَرَ يَصُومُونَ يَوْمَ عَاشُورَاءَ، يَتَّخِذُونَهُ عِيدًا وَيُلْبِسُونَ نِسَاءَهُمْ فِيهِ حُلِيَّهُمْ وَشَارَتَهُمْ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "فَصُومُوهُ أَنْتُمْ". (٤)

وعَنِ الرُّبَيِّعِ بِنْتِ مُعَوِّذِ ابْنِ عَفْرَاءَ، قَالَتْ: أَرْسَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ غَدَاةَ عَاشُورَاءَ إِلَى قُرَى الْأَنْصَارِ، الَّتِي حَوْلَ الْمَدِينَةِ: "مَنْ كَانَ أَصْبَحَ صَائِمًا، فَلْيُتِمَّ صَوْمَهُ، وَمَنْ كَانَ أَصْبَحَ مُفْطِرًا، فَلْيُتِمَّ بَقِيَّةَ يَوْمِهِ" فَكُنَّا، بَعْدَ ذَلِكَ نَصُومُهُ، وَنُصَوِّمُ صِبْيَانَنَا الصِّغَارَ مِنْهُمْ إِنْ شَاءَ اللهُ، وَنَذْهَبُ إِلَى الْمَسْجِدِ، فَنَجْعَلُ لَهُمُ اللُّعْبَةَ مِنَ الْعِهْنِ، فَإِذَا بَكَى أَحَدُهُمْ عَلَى الطَّعَامِ أَعْطَيْنَاهَا إِيَّاهُ عِنْدَ الْإِفْطَارِ ". (٥)

الحالة الثالثة: أنه لما فرض صيام شهر رمضان ترك النبي ﷺ أمر الصحابة بصيام عاشوراء وتأكيده فيه وقد سبق حديث عائشة في ذلك، وعَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما، قَالَ: صَامَ النَّبِيُّ ﷺ عَاشُورَاءَ، وَأَمَرَ بِصِيَامِهِ فَلَمَّا فُرِضَ رَمَضَانُ تُرِكَ، وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ لاَ يَصُومُهُ إِلَّا أَنْ يُوَافِقَ صَوْمَهُ. (٦)

---

(١) رواه مسلم (١١٣٠)

(٢) رواه البخاري (٢٠٠٤)

(٣) رواه البخاري (٢٠٠٥)

(٤) رواه مسلم (١١٣١)

(٥) رواه مسلم (١١٣٦)

(٦) رواه البخاري (١٨٩٢) ومسلم (١١٢٦)

وعَنْ حُمَيْدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، أَنَّهُ سَمِعَ مُعَاوِيَةَ بْنَ أَبِي سُفْيَانَ رضي الله عنهما، يَوْمَ عَاشُورَاءَ عَامَ حَجَّ عَلَى المِنْبَرِ يَقُولُ: يَا أَهْلَ المَدِينَةِ أَيْنَ عُلَمَاؤُكُمْ؟ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، يَقُولُ: "هَذَا يَوْمُ عَاشُورَاءَ وَلَمْ يَكْتُبِ اللَّهُ عَلَيْكُمْ صِيَامَهُ، وَأَنَا صَائِمٌ، فَمَنْ شَاءَ، فَلْيَصُمْ وَمَنْ شَاءَ، فَلْيُفْطِرْ". (١)

الحالة الرابعة: أن النبي ﷺ عزم في آخر عمره على أن لا يصومه مفردا بل يضم إليه يوما آخر مخالفة لأهل الكتاب في صيامه فعن عَبْدَ اللهِ بْنَ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، يَقُولُ: حِينَ صَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَوْمَ عَاشُورَاءَ وَأَمَرَ بِصِيَامِهِ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّهُ يَوْمٌ تُعَظِّمُهُ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "فَإِذَا كَانَ الْعَامُ الْمُقْبِلُ إِنْ شَاءَ اللهُ صُمْنَا الْيَوْمَ التَّاسِعَ" قَالَ: فَلَمْ يَأْتِ الْعَامُ الْمُقْبِلُ، حَتَّى تُوُفِّيَ رَسُولُ اللهِ ﷺ. (٢)

وعند الطبراني عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "إِنْ عِشْتُ إِنْ شَاءَ اللهُ إِلَى قَابِلٍ صُمْتُ التَّاسِعَ؛ مَخَافَةَ أَنْ يَفُوتَنِي يَوْمُ عَاشُورَاءَ". (٣)

وعن ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ((صُومُوا يَوْمَ عَاشُورَاءَ، وَخَالِفُوا فِيهِ الْيَهُودَ، صُومُوا قَبْلَهُ يَوْمًا، أَوْ بَعْدَهُ يَوْمًا)). (٤)

وممن رأى صيام التاسع والعاشر: الشافعي وأحمد وإسحاق وكره أبو حنيفة إفراد العاشر بالصوم. (٥)

قال شيخ الإسلام رحمه الله: وَالصَّحِيحُ أَنَّهُ يُسْتَحَبُّ لِمَنْ صَامَهُ أَنْ يَصُومَ مَعَهُ التَّاسِعَ؛ لِأَنَّ هَذَا آخَرُ أَمْرِ النَّبِيِّ ﷺ لِقَوْلِهِ: {لَئِنْ عِشْت إلَى قَابِلٍ لَأَصُومَن التَّاسِعَ مَعَ الْعَاشِرِ}. (٦)

---

(١) رواه البخاري (٢٠٠٣)

(٢) رواه مسلم (١١٣٤)

(٣) رواه الطبراني (١٠٨١٧) وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (١/ ٦٨٦)

(٤) رواه أحمد (١/ ٢٤١) وسنده ضعيف فيه محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى.

(٥) لطائف المعارف لابن رجب (ص: ٤٨ -٥٢)

(٦) مجموع الفتاوى (٢٥/ ٣١٢)

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: قَالَ الشَّافِعِيُّ وَأَصْحَابُهُ وَأَحْمَدُ وَإِسْحَاقُ وَآخَرُونَ يُسْتَحَبُّ صَوْمُ التَّاسِعِ وَالْعَاشِرِ جَمِيعًا لِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ صَامَ الْعَاشِرَ وَنَوَى صِيَامَ التَّاسِعِ. (١)

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: فَمَرَاتِبُ صَوْمِهِ ثَلَاثَةٌ أَكْمَلُهَا: أَنْ يُصَامَ قَبْلَهُ يَوْمٌ وَبَعْدَهُ يَوْمٌ، وَيَلِي ذَلِكَ أَنْ يُصَامَ التَّاسِعُ وَالْعَاشِرُ وَعَلَيْهِ أَكْثَرُ الْأَحَادِيثِ، وَيَلِي ذَلِكَ إِفْرَادُ الْعَاشِرِ وَحْدَهُ بِالصَّوْمِ. (٢)

يوم عاشوراء بين الإفراط والتفريط:

اعلموا أن يوم عاشوراء لا يميز عن غيره من الأيام بفرح أو حزن، إذ إن هذا من صنيع الضالين والمبتدعين، فقد كان هذا اليوم عند اليهود عيدًا كما أشارت إلى ذلك الأحاديث السابقة، وهو عند الرافضة يوم مأتم وحزن بحجة أنه اليوم الذي قتل فيه الحسين بن علي رضي الله عنه.

سُئِلَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: عَمَّا يَفْعَلُهُ النَّاسُ فِي يَوْمِ عَاشُورَاءَ مِنْ الْكُحْلِ وَالِاغْتِسَالِ وَالْحِنَّاءِ. وَالْمُصَافَحَةِ وَطَبْخِ الْحُبُوبِ وَإِظْهَارِ السُّرُورِ وَغَيْرِ ذَلِكَ: فَهَلْ وَرَدَ فِي ذَلِكَ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ حَدِيثٌ صَحِيحٌ؟ أَمْ لَا؟ وَمَا تَفْعَلُهُ الطَّائِفَةُ الْأُخْرَى مِنْ الْمَأْتَمِ وَالْحُزْنِ وَالْعَطَشِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ النَّدْبِ وَالنِّيَاحَةِ وَقِرَاءَةِ الْمَصْرُوعِ وَشَقِّ الْجُيُوبِ. هَلْ لِذَلِكَ أَصْلٌ؟ أَمْ لَا؟.

فَأَجَابَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، لَمْ يَرِدْ فِي شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ وَلَا عَنْ أَصْحَابِهِ وَلَا اسْتَحَبَّ ذَلِكَ أَحَدٌ مِنْ أَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ. لَا الْأَئِمَّةِ الْأَرْبَعَةِ وَلَا غَيْرِهِمْ. وَلَا رَوَى أَهْلُ الْكُتُبِ الْمُعْتَمَدَةِ. فِي ذَلِكَ شَيْئًا لَا عَنْ النَّبِيِّ ﷺ وَلَا الصَّحَابَةِ وَلَا التَّابِعِينَ لَا صَحِيحًا وَلَا ضَعِيفًا.(٣)

وقسم رَحِمَهُ اللَّهُ ما وقع من أهل البدع في هذا اليوم على ضربين فقال: فَصَارَتْ طَائِفَة جَاهِلَةٌ ظَالِمَةٌ: إمَّا مُلْحِدَةً مُنَافِقَةً وَإِمَّا ضَالَّةً غَاوِيَةً تُظْهِرُ مُوَالَاتَهُ وَمُوَالَاةَ أَهْلِ بَيْتِهِ تَتَّخِذُ يَوْمَ عَاشُورَاءَ يَوْمَ مَأْتَمٍ وَحُزْنٍ وَنِيَاحَةٍ وَتُظْهِرُ فِيهِ شِعَارَ الْجَاهِلِيَّةِ مَنْ لَطْمِ الْخُدُودِ وَشَقِّ الْجُيُوبِ وَالتَّعَزِّي بِعَزَاءِ الْجَاهِلِيَّةِ. . . . وَإِنْشَادِ قَصَائِدِ الْحُزْنِ وَرِوَايَةِ الْأَخْبَارِ الَّتِي فِيهَا كَذِبٌ كَثِيرٌ وَالصِّدْقُ فِيهَا لَيْسَ فِيهِ إلَّا تَجْدِيدُ الْحُزْنِ

(١) شرح النووي على مسلم (٨/ ١٢)

(٢) زاد المعاد (٢/ ٧٢)

(٣) مجموع الفتاوى (٢٥/ ٢٩٩)

وَالتَّعَصُّبُ وَإِثَارَةُ الشَّحْنَاءِ وَالْحَرْبِ وَإِلْقَاءُ الْفِتَنِ بَيْنَ أَهْلِ الْإِسْلاَمِ؛ وَالتَّوَسُّلُ بِذَلِكَ إِلَى سَبِّ السَّابِقِينَ الْأَوَّلِينَ وَكَثْرَةِ الْكَذِبِ وَالْفِتَنِ فِي الدُّنْيَا وَلَمْ يَعْرِفْ طَوَائِفُ الْإِسْلاَمِ أَكْثَرَ كَذِبًا وَفِتَنًا وَمُعَاوَنَةً لِلْكُفَّارِ عَلَى أَهْلِ الْإِسْلاَمِ مِنْ هَذِهِ الطَّائِفَةِ الضَّالَّةِ الْغَاوِيَةِ فَإِنَّهُمْ شَرٌّ مِنْ الْخَوَارِجِ الْمَارِقِينَ. . . وَإِمَّا مِنْ الْجُهَّالِ الَّذِينَ قَابَلُوا الْفَاسِدَ بِالْفَاسِدِ وَالْكَذِبَ بِالْكَذِبِ وَالشَّرَّ بِالشَّرِّ وَالْبِدْعَةَ بِالْبِدْعَةِ فَوَضَعُوا الْآثَارَ فِي شَعَائِرِ الْفَرَحِ وَالسُّرُورِ يَوْمَ عَاشُورَاءَ كَالِاكْتِحَالِ وَالِاخْتِضَابِ وَتَوْسِيعِ النَّفَقَاتِ عَلَى الْعِيَالِ وَطَبْخِ الْأَطْعِمَةِ الْخَارِجَةِ عَنْ الْعَادَةِ وَنَحْوِ ذَلِكَ مِمَّا يُفْعَلُ فِي الْأَعْيَادِ وَالْمَوَاسِمِ فَصَارَ هَؤُلَاءِ يَتَّخِذُونَ يَوْمَ عَاشُورَاءَ مَوْسِمًا كَمَوَاسِمِ الْأَعْيَادِ وَالْأَفْرَاحِ. وَأُولَئِكَ يَتَّخِذُونَهُ مَأْتَمًا يُقِيمُونَ فِيهِ الْأَحْزَانَ وَالْأَتْرَاحَ وَكِلاَ الطَّائِفَتَيْنِ مُخْطِئَةٌ خَارِجَةٌ عَنْ السُّنَّةِ. (١)

قال ابن رجب رحمه الله: وأما اتخاذه مأتما كما تفعله الرافضة لأجل قتل الحسين بن علي رضي الله عنه فهو من عمل من ضلَّ سعيه في الحياة الدنيا وهو يحسب أنه يحسن صنعا، ولم يأمر الله ولا رسوله باتخاذ أيام مصائب الأنبياء وموتهم مأتما فكيف بمن دونهم. (٢)

* إننا لا ننازع في فضل الحسين رضي الله عنه ومناقبه، فهو من علماء الصحابة ومن سادات المسلمين في الدنيا والآخرة الذين عرفوا بالعبادة والشجاعة والسخاء، وهو ابن بنت قدوتنا وحبيبنا أشرف الخلق ﷺ، والتي هي أفضل بناته، وما وقع من قتله فأمر منكر شنيع يحزن كل مسلم، وقد انتقم الله عز وجل من قتلته، فأهانهم في الدنيا وجعلهم عبرة.

ولا ننازع في محبته ومحبة آل بيت رسول الله، ونشهد الله على حبهم وموالاتهم، بل ونصلي عليهم في صلواتنا، كيف لا وقد أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرًا؟!

لكن الذي ينبغي عند ذكر مصيبة الحسين وأمثالها هو الصبر والرضا بقضاء الله وقدره، وأنه تعالى يختار لعبده ما هو خير، ثم احتساب أجرها عند الله تعالى، وليس اتخاذ المآتم من هدي دين

(١) مجموع الفتاوى (٢٥/ ٣٠٧ - ٣١٠)

(٢) لطائف المعارف (ص: ٥٤)

الإسلام، بل هو أشبه بفعل أهل الجاهلية.

والملاحظ أن مآتم مجوس هذه الأمة في عاشوراء لم ترتبط بأصل إسلامي من قريب أو بعيد، إذ لا علاقة لها بنجاة موسى عليه السلام ولا بصيام النبي، بل الواقع أنهم حولوا المناسبة إلى اتجاه آخر، وهذا من جنس تبديل دين الله عز وجل.

فاللهم اهدنا إلى الحق وإلى الطريق المستقيم

والحمد لله رب العالمين

٢ـ الصفح والعفو

الصفح لغة:

قال ابن فارس: (صَفَحَ) الصَّادُ وَالْفَاءُ وَالْحَاءُ أَصْلٌ صَحِيحٌ مُطَّرِدٌ يَدُلُّ عَلَى عَرْضٍ وَعِرَضٍ. مِنْ ذَلِكَ صَفْحُ الشَّيْءِ: عَرْضُهُ. وَيُقَالُ: رَأْسٌ مُصْفَحٌ: عَرِيضٌ. (١)

وصَفَحْتُ عن فلانٍ، إذا أعْرضْتَ عن ذَنْبِه. وقد ضَرَبْتُ عنه صَفْحاً، إذا أعْرَضْتَ عنه وتركتَه.(٢)

الصفح اصطلاحا: إِزَالَةُ أَثَرِ الذنبِ مِنَ النَّفْسِ. صَفَحْتُ عَنْ فُلاَنٍ إِذَا أَعْرَضْتُ عَنْ ذَنْبِهِ. وَقَدْ ضَرَبْتُ عَنْهُ صَفْحًا إِذَا أَعْرَضْتُ عَنْهُ وَتَرَكْتُهُ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: " أَفَنَضْرِبُ عَنْكُمُ الذِّكْرَ صَفْحاً "، وهو يشمل ترك العقاب وترك اللوم والتثريب(٣).

أما العفو فهو: هُوَ التَّجاوُزُ عَنِ الذَّنْبِ وتَرْكُ العِقابِ عَلَيْهِ، وأَصلُه المَحْوُ والطَّمْس. (٤)

قال القرطبي: وَالْعَفْوُ: تَرْكُ الْمُؤَاخَذَةِ بِالذَّنْبِ. (٥)

الفرق بين العفو والصفح:

قال أبو البقاء: الصفح: هُوَ ترك التثريب، وَهُوَ أبلغ من الْعَفو، وَقد يفعو الْإِنْسَان وَلَا يصفح.(٦)

وقال الدكتور سعيد القحطاني: الصفح أبلغ من العفو، وقد أمر الله بالعفو والصفح، والعفو هو التجاوز عن الذنب، وترك العقاب عليه، أما الصفح فهو أبلغ من العفو؛ لأن الصفح هو ترك التثريب، والإعراض عن الذنب، وتجاوز الصفحة التي كتب فيها الذنب، {فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ}. ويُقال: صفحت عنه: أي أوليته مني صفحة جميلة معرضاً عن ذنبه. (١)

---

(١) مقاييس اللغة (٣/ ٢٩٣)، وانظر: أساس البلاغة (١/ ٥٤٩)، و مختار الصحاح (ص: ١٧٦).

(٢) منتخب من صحاح الجوهري (ص: ٢٨٢٧).

(٣) تفسير القرطبي (٢/ ٧١)، والتفسير المنير للزحيلي (١/ ٢٦٩).

(٤) لسان العرب (١٥/ ٧٢)، وانظر: التفسير الموضوعي جامعة المدينة (ص: ٢٩)، و الصحاح (٦/٢٤٣٣.

(٥) تفسير القرطبي (٢/ ٧١).

(٦) الكليات (ص: ٥٦٢).

الهجر الجميل والصفح الجميل والصبر الجميل

قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: وَالله تَعَالَى ذكر فِي الْقُرْآن الهجر الْجَمِيل والصفح الْجَمِيل وَالصَّبْر الْجَمِيل وَقد قيل: إِن الهجر الْجَمِيل هُوَ هجر بِلاَ أَذَى والصفح الْجَمِيل صفح بِلاَ معاتبة وَالصَّبْر الْجَمِيل صَبر بِغَيْر شكوى إِلَى الْمَخْلُوق وَلِهَذَا قرئَ على أَحْمد بن حَنْبَل فِي مَرضه: إِن طاوسا كَانَ يكره أَنِين الْمَرِيض وَيَقُول: إِنَّه شكوى فَمَا أنّ أَحْمد حَتَّى مَاتَ.

وَأما الشكوى إِلَى الْخَالِق فَلاَ تنَافِي الصَّبْر الْجَمِيل فَإِن يَعْقُوب قَالَ:{فَصَبر جميل} [يُوسُف٨٣:]، وَقَالَ: {إِنَّمَا أَشْكُو بثي وحزني إِلَى الله}[يُوسُف:٨٦]. (٢)

فضائل الصفح والعفو في القرآن الكريم:

١ـ العفو الصفح من صفات المحسنين الذين يحبهم الله عز جل

قال الله تعالى: **{فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلاً مِنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ}** (المائدة: ١٣)

قال ابن كثير: {فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ} وَهَذَا هُوَ عَيْنُ النَّصْرِ وَالظَّفَرِ، كَمَا قَالَ بَعْضُ السلف: ما عاملت من عَصَى اللَّهَ فِيكَ بِمِثْلِ أَنْ تُطِيعَ اللَّهَ فِيهِ. وَبِهَذَا يَحْصُلُ لَهُمْ تَأْلِيفٌ وَجَمْعٌ عَلَى الْحَقِّ، وَلَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَهْدِيَهُمْ؛ وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: {إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ} يَعْنِي بِهِ: الصَّفْحَ عَمَّنْ أَسَاءَ إِلَيْكَ. (٣)

وقال أبو حيان: ظَاهِرُهُ الْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالصَّفْحُ عَنْهُمْ جَمِيعِهُمْ، وَذَلِكَ بَعْثٌ عَلَى حُسْنِ التَّخَلُّقِ مَعَهُمْ وَمَكَارِمِ الْأَخْلاَقِ(٤).

٢- قال الله تعالى: {وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَإِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ} (الحجر: ٨٥)، وكم في هذه الآية الكريمة من تهديد ووعيد لهؤلاء؛ لأن الله –

(١)سلامة الصدر (ص: ٥٣) وانظر: مفردات ألفاظ القرآن، للأصفهاني (ص ٤٨٦). .

(٢) العبودية لابن تيمية (٨٥) ودقائق التفسير (٢/ ٢٩٤).

(٣) تفسير ابن كثير ت سلامة (٣/ ٦٦).

(٤) البحر المحيط في التفسير (٤/ ٢٠٦).

سبحانه وتعالى- بيَّن أنه الإله القوي القادر القاهر حين قال: {وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ} وذكر سبحانه أن الموعد هو الساعة، وأن الساعة آتية لا ريب فيها، وعلى رسول اللهﷺ بل وعلى المؤمنين مع رسول اللهﷺ أن يصفحوا الصفح الجميل.

والصفح الجميل هو الذي لا عتاب فيه، فهذا من الرَّدّ العملي على كيد الكائدين، وحقد الحاقدين وحسد الحاسدين أنه لا يعاتبهم، ولا يتحدَّث إليهم، ولا يناقشهم، ولا يسألهم عن الأسباب التي دعتهم لكل هذا الكيد الرهيب العجيب الذي تآمر فيه أهل الكتاب مع كل أعداء الإسلام، يريدون إطفاء نور الله، ويأبى الله إلا أن يتمّ نوره ولو كره الكافرون. .

حكى محمد بن الحنفية عن علي رضي الله عنه في قوله تعالى: {فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ} قال: هو الرضا بلا عتاب. وقال سهل: بلا حقد ولا توبيخ بعد الصفح، وهو الإعراض الجميل.[1]

وذهب بعض العلماء إلى نسخ الأمر بالصفح والعفو في هذه الآيات

وقال البغوي: فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ، فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَاعْفُ عَفْوًا حَسَنًا نَسَخَتْهَا آيَةُ الْقِتَالِ[2].

ورد ذلك الرازي فقال: فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ أَيْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ، وَاحْتَمِلْ مَا تَلْقَى مِنْهُمْ إِعْرَاضًا جَمِيلاً بِحِلْمٍ وَإِغْضَاءٍ، وَقِيلَ: هُوَ مَنْسُوخٌ بِآيَةِ السَّيْفِ وَهُوَ بَعِيدٌ، لِأَنَّ الْمَقْصُودَ مِنْ ذَلِكَ أَنْ يُظْهِرَ الْخُلُقَ الْحَسَنَ وَالْعَفْوَ وَالصَّفْحَ، فَكَيْفَ يَصِيرُ مَنْسُوخًا[3].

قلت: لعل هذا من اختلاف التنوع ولا مانع من الجمع بين القولين: وأنه ﷺ أمر بالجهاد والقتال فيما يختص بحق الله تعالى وأنه أمر بالعفو والصفح في حق نفسه وكان هذا ديدنه ﷺ فعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها، أَنَّهَا قَالَتْ: " وَمَا انْتَقَمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِنَفْسِهِ إِلَّا أَنْ تُنْتَهَكَ حُرْمَةُ اللَّهِ، فَيَنْتَقِمَ لِلَّهِ بِهَا"[4]

---

(١) تفسير التستري (ص: ٨٩).

(٢) تفسير البغوي (٣/ ٦٤).

(٣) تفسير الرازي (١٩/ ١٥٨) وانظر: لباب التأويل في معاني التنزيل لعلاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي أبو الحسن، المعروف بالخازن.

(٤) صحيح البخاري (٤/ ١٨٩) ح (٣٥٦٠).

قال الراغب: والعفو إنما يستحب فيما إذا كانت الإساءة مخصوصة بالعافي كمن أخذ ماله، أو شتم عرضه، فأما إذا كانت الإساءة عائدة بالضرر على الشرع أو على جماعة الناس فإنه إن كان فيها أدنى شبهة فللسلطان العفو لقولهﷺ: " ادرؤوا الحدود بالشبهات "

وإن لم يكن شبهة فليس له العفو؛ ولهذا قال تعالى في الزنى: (وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ. [1]

وقال النسفي: وإن أريد به المخالقة فلا يكون منسوخاً[2].

٣ـ العفو والصفح بين العباد سبب لعفو الله عنهم

قال الله تعالى {**وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ**} (النور: ٢٢)

قال الشنقيطي رحمه الله: نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ فِي أَبِي بَكْرٍ رضي الله عنه وَمِسْطَحِ بْنِ أُثَاثَةَ بْنِ عَبَّادِ بْنِ الْمُطَّلِبِ، وَكَانَ مِسْطَحٌ الْمَذْكُورُ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَهُوَ فَقِيرٌ، وَكَانَتْ أُمُّهُ ابْنَةَ خَالَةِ أَبِي بَكْرٍ رضي الله عنه وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ يُنْفِقُ عَلَيْهِ لِفَقْرِهِ وَقَرَابَتِهِ وَهِجْرَتِهِ، وَكَانَ مِمَّنْ تَكَلَّمَ فِي أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةَرضي الله عنها بِالْإِفْكِ الْمَذْكُورِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ الْآيَةَ، وَهُوَ مَا رَمَوْهَا بِهِ مِنْ أَنَّهَا فَجَرَتْ مَعَ صَفْوَانَ بْنِ الْمُعَطَّلِ السُّلَمِيِّ رضي الله عنهوَقِصَّةُ الْإِفْكِ مَعْرُوفَةٌ مَشْهُورَةٌ ثَابِتَةٌ فِي عَشْرِ آيَاتٍ مِنْ هَذِهِ السُّورَةِ الْكَرِيمَةِ، وَفِي الْأَحَادِيثِ الصِّحَاحِ، فَلَمَّا نَزَلَتْ بَرَاءَةُ عَائِشَةَرضي الله عنها فِي الْآيَاتِ الْمَذْكُورَةِ، حَلَفَ أَبُو بَكْرٍ أَلَّا يُنْفِقَ عَلَى مِسْطَحٍ، وَلَا يَنْفَعَهُ بِنَافِعَةٍ بَعْدَ مَا رَمَى عَائِشَةَ بِالْإِفْكِ ظُلْمًا وَافْتِرَاءً، فَأَنْزَلَ اللَّهُ فِي ذَلِكَ: وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الْآيَةَ، وَقَوْلُهُ: وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَيْ: لَا يَحْلِفْ، فَقَوْلُهُ: "يَأْتَلِ" وَزْنُهُ يَفْتَعِلُ مِنَ الْأَلِيَّةِ وَهِيَ الْيَمِينُ، تَقُولُ الْعَرَبُ آلَى يُؤْلِي وَائْتَلَى يَأْتَلِي إِذَا حَلَفَ، أَيْ: لَا يَحْلِفُ أَصْحَابُ الْفَضْلِ وَالسِّعَةِ، أَيِ: الْغِنَى كَأَبِي بَكْرٍ رضي الله عنه أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ

(١) الذريعة الى مكارم الشريعة (ص: ٢٤١).

(٢) تفسير النسفي – دار النفائس (٢/ ٢٣١).

اللَّهِ كَمِسْطَحِ بْنِ أُثَاثَةَ، وَقَوْلُهُ: أَنْ يُؤْتُوا، أَيْ: لَا يَحْلِفُوا عَنْ أَنْ يُؤْتُوا، أَوْ لَا يَحْلِفُوا أَلَّا يُؤْتُوا وَحَذْفُ حَرْفِ الْجَرِّ قَبْلَ الْمَصْدَرِ الْمُنْسَبِكِ مِنْ أَنْ وَصِلَتِهَا مُطَّرِدٌ. وَكَذَلِكَ حَذْفُ لَا النَّافِيَةِ قَبْلَ الْمُضَارِعِ بَعْدَ الْقَسَمِ، وَلَا يُؤَثِّرُ فِي ذَلِكَ هُنَا كَوْنُ الْقَسَمِ مَنْهِيًّا عَنْهُ، وَمَفْعُولُ يُؤْتُوا الثَّانِي مَحْذُوفٌ، أَيْ: أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَى النَّفَقَةَ وَالْإِحْسَانَ، كَمَا فَعَلَ أَبُو بَكْرٍ ﷺ. وَقَالَ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ: قَوْلُهُ: وَلَا يَأْتَلِ، أَيْ: لَا يُقَصِّرُ أَصْحَابُ الْفَضْلِ، وَالسِّعَةِ كَأَبِي بَكْرٍ فِي إِيتَاءِ أُولَى الْقُرْبَى كَمِسْطَحٍ، وَعَلَى هَذَا فَقَوْلُهُ يَأْتَلِ يَفْتَعِلُ مِنْ أَلَا يَأْلُو فِي الْأَمْرِ إِذَا قَصَّرَ فِيهِ وَأَبْطَأَ. وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا، أَيْ لَا: يُقَصِّرُونَ فِي مَضَرَّتِكُمْ، وَالْأَوَّلُ هُوَ الْأَصَحُّ، لِأَنَّ حَلِفَ أَبِي بَكْرٍ أَلَّا يَنْفَعَ مِسْطَحًا بِنَافِعَةٍ، وَنُزُولَ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ فِي ذَلِكَ الْحَلِفِ مَعْرُوفٌ. وَهَذَا الَّذِي تَضَمَّنَتْهُ هَذِهِ الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ مِنَ النَّهْيِ عَنِ الْحَلِفِ عَنْ فِعْلِ الْبِرِّ مِنْ إِيتَاءِ أُولَى الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ، جَاءَ أَيْضًا فِي غَيْرِ هَذَا الْمَوْضِعِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ أَنْ تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ، أَيْ: لَا تَحْلِفُوا بِاللَّهِ عَنْ فِعْلِ الْخَيْرِ، فَإِذَا قِيلَ لَكُمُ: اتَّقُوا وَبَرُّوا، وَأَصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ قُلْتُمْ: حَلَفْنَا بِاللَّهِ لَا نَفْعَلُ ذَلِكَ، فَتَجْعَلُوا الْحَلِفَ بِاللَّهِ سَبَبًا لِلِامْتِنَاعِ مِنْ فِعْلِ الْخَيْرِ عَلَى الْأَصَحِّ فِي تَفْسِيرِ الْآيَةِ.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى فِي الآيَةِ {وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا} فِيهِ الْأَمْرُ مِنَ اللَّهِ لِلْمُؤْمِنِينَ إِذَا أَسَاءَ إِلَيْهِمْ بَعْضُ إِخْوَانِهِمُ الْمُسْلِمِينَ أَنْ يَعْفُوا عَنْ إِسَاءَتِهِمْ وَيَصْفَحُوا وَأَصْلُ الْعَفْوِ: مِنْ عَفَتِ الرِّيحُ الْأَثَرَ إِذَا طَمَسَتْهُ.

وَالْمَعْنَى: فَلْيَطْمِسُوا آثَارَ الْإِسَاءَةِ بِحِلْمِهِمْ وَتَجَاوُزِهِمْ، وَالصَّفْحُ: قَالَ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ مُشْتَقٌّ مِنْ صَفْحَةِ الْعُنُقِ، أَيْ: أَعْرِضُوا عَنْ مُكَافَأَةِ إِسَاءَتِهِمْ حَتَّى كَأَنَّكُمْ تَوَلَّوْنَهَا بِصَفْحَةِ الْعُنُقِ، مُعْرِضِينَ عَنْهَا. وَمَا تَضَمَّنَتْهُ هَذِهِ الْآيَةُ مِنَ الْعَفْوِ وَالصَّفْحِ جَاءَ مُبَيَّنًا فِي مَوَاضِعَ أُخَرَ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (آل عمران : ١٣٣ – ١٣٤) وَقَدْ دَلَّتْ هَذِهِ الْآيَةُ عَلَى أَنَّ كَظْمَ الْغَيْظِ وَالْعَفْوَ عَنِ النَّاسِ مِنْ صِفَاتِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَكَفَى بِذَلِكَ حَثًّا عَلَى ذَلِكَ، وَدَلَّتْ أَيْضًا: عَلَى أَنَّ ذَلِكَ مِنَ الْإِحْسَانِ الَّذِي يُحِبُّ اللَّهُ الْمُتَّصِفِينَ بِهِ، وَكَقَوْلِهِ تَعَالَى: إِنْ

تُبْدُوا خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا عَنْ سُوءٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا [النساء : ١٤٩] وَقَدْ بَيَّنَ تَعَالَى فِي هَذَا الْآيَةِ أَنَّ الْعَفْوَ مَعَ الْقُدْرَةِ مِنْ صِفَاتِهِ تَعَالَى، وَكَفَى بِذَلِكَ حَثًّا عَلَيْهِ، وَكَقَوْلِهِ تَعَالَى: فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ [الحجر: ٨٥] وَكَقَوْلِهِ: وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ [الشورى : ٤٣] إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْآيَاتِ.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ: أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الْعَفْوَ وَالصَّفْحَ عَلَى الْمُسِيءِ الْمُسْلِمِ مِنْ مُوجِبَاتِ غُفْرَانِ الذُّنُوبِ، وَالْجَزَاءُ مِنْ جِنْسِ الْعَمَلِ، وَلِذَا لَمَّا نَزَلَتْ قَالَ أَبُو بَكْرٍ: بَلَى وَاللَّهِ نُحِبُّ أَنْ يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا، وَرَجَعَ لِلإِنْفَاقِ فِي مِسْطَحٍ،(١)

٤- قال الله تعالى: {**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِنْ تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ**} (التغابن: ١٤)

وقال السعدي: هذا تحذير من الله للمؤمنين، من الاغترار بالأزواج والأولاد، فإن بعضهم عدو لكم، والعدو هو الذي يريد لك الشر، ووظيفتك الحذر ممن هذه وصفه والنفس مجبولة على محبة الأزواج والأولاد، فنصح تعالى عباده أن توجب لهم هذه المحبة الانقياد لمطالب الأزواج والأولاد، ولو كان فيها ما فيها من المحذور الشرعي ورغبهم في امتثال أوامره، وتقديم مرضاته بما عنده من الأجر العظيم المشتمل على المطالب العالية والمحاب الغالية، وأن يؤثروا الآخرة على الدنيا الفانية المنقضية، ولما كان النهي عن طاعة الأزواج والأولاد، فيما هو ضرر على العبد، والتحذير من ذلك، قد يوهم الغلظة عليهم وعقابهم، أمر تعالى بالحذر منهم، والصفح عنهم والعفو، فإن في ذلك، من المصالح ما لا يمكن حصره، فقال: {وَإِنْ تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ} لأن الجزاء من جنس العمل، وفمن عفا عفا الله عنه، ومن صفح صفح الله عنه، ومن غفر غفر الله له، ومن عامل الله فيما يحب، وعامل عباده كما يحبون وينفعهم، نال محبة الله ومحبة عباده، واستوثق له أمره.(١)

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٥/ ٤٨٥-٤٨٩).

٥ـ وردت في كتاب الله وصفًا لله تعالى، {فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا}

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ: "فإن الله كان عفوًّا"، يقول: لم يزل ذا عفوٍ عن خلقه، يصفح عمن عصَاه وخالف أمره "قديرًا"، يقول: ذا قدرة على الانتقام منهم.

وإنما يعني بذلك: أن الله لم يزل ذا عفو عن عباده، مع قدرته على عقابهم على معصيتهم إيّاه.

يقول: فاعفوا، أنتم أيضًا، أيها الناس، عمن أتى إليكم ظلمًا، ولا تجهروا له بالسوء من القول، وإن قدرتم على الإساءة إليه، كما يعفو عنكم ربكم مع قدرته على عقابكم، وأنتم تعصونه وتخالفون أمره(٢).

الدعاء باسم الله العفو دعاء مسألة.

ورد دعاء المسألة بالاسم المطلق في حديث عائشة رضي الله عنها الذي تقدم وفيه أنها قالت: (يَا رَسُولَ اللهِ: أَرَأَيْتَ إِنْ وَافَقْتُ لَيْلَةَ القَدْرِ، مَا أَدْعُو؟ قَالَ: تَقُولِينَ اللهُمَّ إِنَّكَ عَفُوٌّ تُحِبُّ العَفْوَ فَاعْفُ عَنِّي) (١)، وورد الدعاء بالوصف في قوله تعالى: { وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلانَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ } [البقرة: ٢٨٦]،

الدعاء باسم الله العفو دعاء عبادة

دعاء العبادة هو أثر الاسم على سلوك العبد وتوحيد الله فيه، فيعفوا عن الظالمين ويعرض عن الجاهلين، وييسر علي المعسرين طلبا لعفو الله عند لقائه، وقد كان أبو بكر الصديق – رضي الله عنه – يتصدق على مسطح بن أثاثة لقرابته منه، فلما شارك المنافقين في اتهام أم المؤمنين عائشة بالإفك وبرأها الله – عز وجل –، قال أبو بكر: (وَاللهِ لاَ أُنْفِقُ عَلى مِسْطَحٍ شَيْئًا أَبَدًا بَعْدَ مَا قَال لعَائِشَةَ، فَأَنْزَل اللهُ سبحانه وتعالى : { وَلا يَأْتَل أُولو الفَضْل مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولي القُرْبَي وَالمَسَاكِينَ وَالمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيل اللهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللهُ لكُمْ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ } [النور: ٢٢]، فَقَال أَبُو بَكْرٍ: بَلى، وَاللهِ إِنِّي لأُحِبُّ أَنْ يَغْفِرَ اللهُ لي، فَرَجَعَ إِلى مِسْطَحٍ الذِي كَانَ يُجْرِي عَلَيْهِ). (٣)

---

(١) تيسير الكريم الرحمن (ص: ٨٦٨).

(٢) تفسير الطبري (٩/ ٣٥١).

(٣) أسماء الله الحسنى الثابتة في الكتاب والسنة (ص: ٥٤٢-٥٤٣).

٦ـ العفو والصفح صفة من صفات أهل الجنة

قال تعالى:{**وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ**} [آل عمران: **١٣٣**] قال الشنقيطي: وَقَدْ دَلَّتْ هَذِهِ الْآيَةُ عَلَى أَنَّ كَظْمَ الْغَيْظِ وَالْعَفْوَ عَنِ النَّاسِ مِنْ صِفَاتِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَكَفَى بِذَلِكَ حَثًّا عَلَى ذَلِكَ، وَدَلَّتْ أَيْضًا: عَلَى أَنَّ ذَلِكَ مِنَ الْإِحْسَانِ الَّذِي يُحِبُّ اللَّهُ الْمُتَّصِفِينَ بِهِ(١).

٧ـ صفة للمؤمنين مدحهم الله عليها

قال تعالى: {**وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ**} [الشورى: **٣٧**].

قال ابن كثير: أَيْ: سَجِيَّتُهُمْ وَخَلْقُهُمْ وَطَبْعُهُمْ تَقْتَضِي الصَّفْحَ وَالْعَفْوَ عَنِ النَّاسِ، لَيْسَ سَجِيَّتُهُمُ الِانْتِقَامَ مِنَ النَّاسِ، وقَدْ ثَبَتَ فِي الصَّحِيحِ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مَا انْتَقَمَ لِنَفْسِهِ قَطُّ، إِلَّا أَنْ تُنْتَهَكَ حُرُمَاتُ اللَّهِ(٢).

فضل العفو والصفح في السنة النبوية

١ـ التأسي برسول الله ﷺ ومواقفه في ذلك كثيرة.

ومنها عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ قَالَ: كُنْتُ أَمْشِي مَعَ النَّبِيِّ ﷺ وَعَلَيْهِ بُرْدٌ نَجْرَانِيٌّ غَلِيظُ الحَاشِيَةِ، فَأَدْرَكَهُ أَعْرَابِيٌّ فَجَذَبَهُ جَذْبَةً شَدِيدَةً، حَتَّى نَظَرْتُ إِلَى صَفْحَةِ عَاتِقِ النَّبِيِّ ﷺ قَدْ أَثَّرَتْ بِهِ حَاشِيَةُ الرِّدَاءِ مِنْ شِدَّةِ جَذْبَتِهِ، ثُمَّ قَالَ: مُرْ لِي مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي عِنْدَكَ، فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ فَضَحِكَ، ثُمَّ "أَمَرَ لَهُ بِعَطَاءٍ"(٣)

قال النووي: فِيهِ احْتِمَالُ الْجَاهِلِينَ وَالْإِعْرَاضُ عَنْ مُقَابَلَتِهِمْ وَدَفْعُ السَّيِّئَةِ بِالْحَسَنَةِ وَإِعْطَاءُ مَنْ يُتَأَلَّفُ قَلْبُهُ وَالْعَفْوُ عَنْ مُرْتَكِبِ كَبِيرَةٍ لَا حَدَّ فِيهَا بِجَهْلِهِ وَإِبَاحَةُ الضَّحِكِ عِنْدَ الْأُمُورِ الَّتِي يُتَعَجَّبُ مِنْهَا فِي الْعَادَةِ وَفِيهِ كَمَالُ خُلُقِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَحِلْمِهِ وَصَفْحِهِ الْجَمِيلِ(٤)

---

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٥/ ٤٨٧).

(٢) تفسير ابن كثير (٧/ ٢١٠).

(٣) صحيح البخاري (٤/ ٩٤) ح (٣١٤٩).

(٤) شرح النووي على مسلم (٧/ ١٤٧).

ومنها: حديث عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ، قَالَ: لَقِيتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرِو بْنِ العَاصِ رضي الله عنهما، قُلْتُ: أَخْبِرْنِي عَنْ صِفَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي التَّوْرَاةِ؟ قَالَ: " أَجَلْ، وَاللَّهِ إِنَّهُ لَمَوْصُوفٌ فِي التَّوْرَاةِ بِبَعْضِ صِفَتِهِ فِي القُرْآنِ: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا} [الأحزاب: ٤٥]، وَحِرْزًا لِلأُمِّيِّينَ، أَنْتَ عَبْدِي وَرَسُولِي، سَمَّيْتُكَ المتَوَكِّلَ لَيْسَ بِفَظٍّ وَلاَ غَلِيظٍ، وَلاَ سَخَّابٍ فِي الأَسْوَاقِ، وَلاَ يَدْفَعُ بِالسَّيِّئَةِ السَّيِّئَةَ، وَلَكِنْ يَعْفُو وَيَغْفِرُ، وَلَنْ يَقْبِضَهُ اللَّهُ حَتَّى يُقِيمَ بِهِ المِلَّةَ العَوْجَاءَ، بِأَنْ يَقُولُوا: لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَيَفْتَحُ بِهَا أَعْيُنًا عُمْيًا، وَآذَانًا صُمًّا، وَقُلُوبًا غُلْفًا " (١)

٢ـ طلب العزة بالعفو عن الناس

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، قَالَ: "**مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ، وَمَا زَادَ اللهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ، إِلَّا عِزًّا، وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلَّا رَفَعَهُ اللهُ**"(٢).

قال النووي: فيه وَجْهَانِ أَحَدُهُمَا أَنَّهُ عَلَى ظَاهِرِهِ وَأَنَّ مَنْ عُرِفَ بِالْعَفْوِ وَالصَّفْحِ سَادَ وَعَظُمَ فِي الْقُلُوبِ وَزَادَ عِزُّهُ وَإِكْرَامُهُ وَالثَّانِي أَنَّ الْمُرَادَ أَجْرُهُ فِي الْآخِرَةِ وَعِزُّهُ هُنَاكَ (٣).

٣- عن عَبْدِ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ قال: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَمْ نَعْفُو عَنِ الْخَادِمِ؟ فَصَمَتَ، ثُمَّ أَعَادَ عَلَيْهِ الْكَلاَمَ، فَصَمَتَ، فَلَمَّا كَانَ فِي الثَّالِثَةِ، قَالَ: "**اعْفُوا عَنْهُ فِي كُلِّ يَوْمٍ سَبْعِينَ مَرَّةً**"(٤)

قال القاري: الْمُرَادُ بِهِ الْكَثْرَةُ، وَلَعَلَّ الْحَدِيثَ مُقْتَبَسٌ مِنْ عُمُومِ قَوْلِهِ تَعَالَى جَلَّ جَلاَلُهُ: {وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ} [الشورى: ٤٠](٥)

---

(١) صحيح البخاري (٣/ ٦٦) ح (٢١٢٥).

(٢) صحيح مسلم (٤/ ٢٠٠١) ح (٢٥٨٨).

(٣) شرح النووي على مسلم (١٦/ ١٤١).

(٤) سنن أبي داود (٤/ ٣٤١) ح (٥١٦٤) و صححه الألباني في الصحيحة ح (٤٨٨).

(٥) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٦/ ٢٢٠٣).

٤- عن حُذَيْفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حَدَّثَهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: " تَلَقَّتِ المَلاَئِكَةُ رُوحَ رَجُلٍ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، قَالُوا: أَعَمِلْتَ مِنَ الخَيْرِ شَيْئًا؟ قَالَ: كُنْتُ آمُرُ فِتْيَانِي أَنْ يُنْظِرُوا وَيَتَجَاوَزُوا عَنِ المُوسِرِ، قَالَ: قَالَ: فَتَجَاوَزُوا عَنْهُ "، قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ: وَقَالَ أَبُو مَالِكٍ، عَنْ رِبْعِيٍّ: "كُنْتُ أُيَسِّرُ عَلَى المُوسِرِ، وَأُنْظِرُ المُعْسِرَ"، وَتَابَعَهُ شُعْبَةُ، عَنْ عَبْدِ المَلِكِ، عَنْ رِبْعِيٍّ، وَقَالَ أَبُو عَوَانَةَ: عَنْ عَبْدِ المَلِكِ، عَنْ رِبْعِيٍّ: "أُنْظِرُ المُوسِرَ، وَأَتَجَاوَزُ عَنِ المُعْسِرِ"، وَقَالَ نُعَيْمُ بْنُ أَبِي هِنْدٍ، عَنْ رِبْعِيٍّ: "فَأَقْبَلُ مِنَ المُوسِرِ، وَأَتَجَاوَزُ عَنِ المُعْسِرِ(١)"

وعَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: " كَانَ تَاجِرٌ يُدَايِنُ النَّاسَ، فَإِذَا رَأَى مُعْسِرًا قَالَ لِفِتْيَانِهِ: تَجَاوَزُوا عَنْهُ، لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَتَجَاوَزَ عَنَّا، فَتَجَاوَزَ اللَّهُ عَنْهُ(٢)"

صور مشرقة:

١- عن عائشة رضي الله عنها قالت: عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: "**مَا ضَرَبَ رَسُولُ اللهِ ﷺ شَيْئًا قَطُّ بِيَدِهِ، وَلَا امْرَأَةً، وَلَا خَادِمًا، إِلَّا أَنْ يُجَاهِدَ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَمَا نِيلَ مِنْهُ شَيْءٌ قَطُّ، فَيَنْتَقِمَ مِنْ صَاحِبِهِ، إِلَّا أَنْ يُنْتَهَكَ شَيْءٌ مِنْ مَحَارِمِ اللهِ، فَيَنْتَقِمَ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ**))(٣).

٢- عَنِ الزُّهْرِيِّ، قَالَ: حَدَّثَنِي سِنَانُ بْنُ أَبِي سِنَانٍ الدُّؤَلِيُّ، وَأَبُو سَلَمَةَ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، أَنَّ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَخْبَرَ: أَنَّهُ غَزَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قِبَلَ نَجْدٍ، فَلَمَّا قَفَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَفَلَ مَعَهُ، فَأَدْرَكَتْهُمُ القَائِلَةُ فِي وَادٍ كَثِيرِ العِضَاهِ، فَنَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَتَفَرَّقَ النَّاسُ يَسْتَظِلُّونَ بِالشَّجَرِ، فَنَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ تَحْتَ سَمُرَةٍ وَعَلَّقَ بِهَا سَيْفَهُ، وَنِمْنَا نَوْمَةً، فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدْعُونَا، وَإِذَا عِنْدَهُ أَعْرَابِيٌّ، فَقَالَ: " إِنَّ هَذَا اخْتَرَطَ عَلَيَّ سَيْفِي، وَأَنَا نَائِمٌ، فَاسْتَيْقَظْتُ وَهُوَ فِي يَدِهِ صَلْتًا، فَقَالَ: مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي؟ فَقُلْتُ: اللَّهُ، - ثَلاَثًا - " وَلَمْ يُعَاقِبْهُ وَجَلَسَ(٤)

---

(١) صحيح البخاري (٣/ ٥٧) ح (٢٠٧٧).

(٢) صحيح البخاري (٣/ ٥٨) ح (٢٠٧٨).

(٣) ((صحيح مسلم (٤/ ١٨١٤) ح (٢٣٢٨).

(٤) صحيح البخاري (٤/ ٤٠) ح (٢٩١٠).

٣- عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي عُرْوَةُ، أَنَّ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، زَوْجَ النَّبِيِّ ﷺ، حَدَّثَتْهُ أَنَّهَا قَالَتْ لِلنَّبِيِّ ﷺ: هَلْ أَتَى عَلَيْكَ يَوْمٌ كَانَ أَشَدَّ مِنْ يَوْمِ أُحُدٍ، قَالَ: " لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكِ مَا لَقِيتُ، وَكَانَ أَشَدَّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ يَوْمَ العَقَبَةِ، إِذْ عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَى ابْنِ عَبْدِ يَالِيلَ بْنِ عَبْدِ كُلاَلٍ، فَلَمْ يُجِبْنِي إِلَى مَا أَرَدْتُ، فَانْطَلَقْتُ وَأَنَا مَهْمُومٌ عَلَى وَجْهِي، فَلَمْ أَسْتَفِقْ إِلَّا وَأَنَا بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ فَرَفَعْتُ رَأْسِي، فَإِذَا أَنَا بِسَحَابَةٍ قَدْ أَظَلَّتْنِي، فَنَظَرْتُ فَإِذَا فِيهَا جِبْرِيلُ، فَنَادَانِي فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ، وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ، وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكَ الجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ، فَنَادَانِي مَلَكُ الجِبَالِ فَسَلَّمَ عَلَيَّ، ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، فَقَالَ، ذَلِكَ فِيمَا شِئْتَ، إِنْ شِئْتَ أَنْ أُطْبِقَ عَلَيْهِمُ الأَخْشَبَيْنِ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ مِنْ أَصْلاَبِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ، لاَ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا[١] "

٤- عَنِ الزُّهْرِيِّ، قَالَ: أَخْبَرَنِي عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُتْبَةَ، أَنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، قَالَ: "قَدِمَ عُيَيْنَةُ بْنُ حِصْنِ بْنِ حُذَيْفَةَ فَنَزَلَ عَلَى ابْنِ أَخِيهِ الحُرِّ بْنِ قَيْسٍ، وَكَانَ مِنَ النَّفَرِ الَّذِينَ يُدْنِيهِمْ عُمَرُ، وَكَانَ القُرَّاءُ أَصْحَابَ مَجَالِسِ عُمَرَ وَمُشَاوَرَتِهِ، كُهُولًا كَانُوا أَوْ شُبَّانًا"، فَقَالَ عُيَيْنَةُ لِابْنِ أَخِيهِ: يَا ابْنَ أَخِي، هَلْ لَكَ وَجْهٌ عِنْدَ هَذَا الأَمِيرِ، فَاسْتَأْذِنْ لِي عَلَيْهِ، قَالَ: سَأَسْتَأْذِنُ لَكَ عَلَيْهِ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: "فَاسْتَأْذَنَ الحُرُّ لِعُيَيْنَةَ فَأَذِنَ لَهُ عُمَرُ"، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ قَالَ: هِيْ يَا ابْنَ الخَطَّابِ، فَوَاللَّهِ مَا تُعْطِينَا الجَزْلَ وَلاَ تَحْكُمُ بَيْنَنَا بِالعَدْلِ، فَغَضِبَ عُمَرُ حَتَّى هَمَّ أَنْ يُوقِعَ بِهِ، فَقَالَ لَهُ الحُرُّ: يَا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ، إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ لِنَبِيِّهِ ﷺ: {خُذِ العَفْوَ وَأْمُرْ بِالعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الجَاهِلِينَ} [الأعراف: ١٩٩]، وَإِنَّ هَذَا مِنَ الجَاهِلِينَ، "وَاللَّهِ مَا جَاوَزَهَا عُمَرُ حِينَ تَلاَهَا عَلَيْهِ، وَكَانَ وَقَّافًا عِنْدَ كِتَابِ اللَّهِ"[٢]

قال ابن حجر: وَمَعْنَى مَا جَاوَزَهَا مَا عَمِلَ بِغَيْرِ مَا دَلَّتْ عَلَيْهِ بَلْ عَمِلَ بِمُقْتَضَاهَا وَلِذَلِكَ قَالَ وَكَانَ وَقَّافًا عِنْدَ كِتَابِ اللَّهِ أَيْ يَعْمَلُ بِمَا فِيهِ وَلَا يَتَجَاوَزُهُ وَفِي هَذَا تَقْوِيَةٌ لِمَا ذَهَبَ إِلَيْهِ الْأَكْثَرُ أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ مُحْكَمَةٌ.

(١) صحيح البخاري (٤/ ١١٥) ح (٣٢٣١).

(٢) صحيح البخاري (٦/ ٦٠) ح (٤٦٤٢).

٥- غضب سليمان بن عبد الملك على خالد القسري، فلما أدخل عليه قال: يا أمير المؤمنين إن القدرة تذهب الحفيظة وإنك تجل عن العقوبة، فإن تعف فأهل لذلك أنت، وإن تعاقب فأهل لذلك أنا، فعفا عنه. .

٦- قال الشافعي- رحمه الله-:

لَمَّا عَفَوْتُ وَلَمْ أَحْقِدْ عَلَى أَحَدٍ. . . أَرَحْتُ نَفْسِي مِنْ هَمِّ الْعَدَاوَاتِ

إِنِّي أُحَيِّي عَدُوِّي عِنْدَ رُؤْيَتِهِ. . . لِأَدْفَعَ الشَّرَّ عَنِّي بِالتَّحِيَّاتِ

وَأُظْهِرُ الْبِشْرَ لِلْإِنْسَانِ أَبْغَضُهُ. . . كَأَنَّمَا قَدْ حَشَى قَلْبِي مَحَبَّاتِ

النَّاسُ دَاءٌ دَوَاءُ النَّاسِ قُرْبُهُمْ. . . وَفِي اعْتِزَالِهِمْ قَطْعُ الْمَوَدَّاتِ [١]

وقال منصور بن محمد الكريزي:

سألزم نفسي الصفح عن كل مذنب. . . وإن كثرت منه إلى الجرائم

فما الناس إلا واحد من ثلاثة. . . شريف ومشروف ومثل مقاوم

فأما الذي فوقي فأعرف فضله. . . وأتبع فيه الحق والحق لازم

وأما الذي دوني فإن قال صنت عن. . . إجابته عرضي وإن لام لائم

وأما الذي مثلي فإن زل أو هفا. . . تفضلت إن الحلم للفضل حاكم[٢]

والحمد لله رب العالمين

(١) ديوان الشافعي ص ٢١وأدب الدنيا والدين (ص: ١٨٢).

(٢) روضة العقلاء (١/١٦٦).

٣ـ الطريق إلى الولد الصالح

الذرية بلا شك عزيزة غالية، فهي قطع الأكباد وثمار القلوب، وعماد الظهور وقرة العيون وزينة الحياة، ثم هي بعد ذلك أمانة من الله سامية يضعها بين أيدي العباد ليرعوها حق رعايتها، ويصونوها حق صيانتها، ولكن الآباء في العهود الأخيرة أهملوا أبناءهم إهمالاً شنيعاً، لا نقول: أهملوهم في الطعام والثياب والفراش والسكن، فذلك قدر من العيش ميسور للناس مع اختلاف في الأحوال والأشكال، ولكنهم أهملوهم فيما هو أهم وأعظم وأخطر وأكبر؛ أهملوهم في تقويم نفوسهم وتطهير أرواحهم وتدعيم أخلاقهم، في تنشئتهم على الدين والعبادة، وفي ضرب القدوة الصالحة لهم، وفي تحديد الطريق المستقيم أمامهم، ومن هنا خرج الأولاد بلا هدفٍ ولا إيمان، وبلا رصيد من عزيمةٍ أو أخلاق، فتفرقت بهم السبل وتوزعتهم الأهواء، وتقسمتهم الأخطاء وعاشوا في دنياهم بأفئدة هواء: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلائِكَةٌ غِلاظٌ شِدَادٌ لا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ} [التحريم: ٦].

وهذا ما تناوله إن شاء الله تعالى في هذا الموضوع في العناصر التالية عناصر

١ـ اختيار الأم الصالحة التي تصلح لحمل هذه الأمانة وذلك له معايير: على رأسها الدين حيث يصف الله تعالى الزوجات الصالحات بقوله تعالى: فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله والقانتات هن المطيعات للأزواج والحافظات للغيب أي إنهن يحفظن الأزواج في غيابهم وفي أموالهم وفي أنفسهم وعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، قَالَ: ((الدُّنْيَا مَتَاعٌ، وَخَيْرُ مَتَاعِ الدُّنْيَا الْمَرْأَةُ الصَّالِحَةُ"(١)

قال الغزالي رحمه الله: ويسأل عن دينها ومواظبتها على صلاتها ومراعاتها لصيامها وعن حياتها ونظافتها وحسن ألفاظها وقبحها وبرها بوالديها. . . ويبحث عن خصال والدها ودينه وحال والدتها ودينها وأعمالها ولمَّا ذكر النبي ﷺمرغبات الرجال في النساء قال: فاظفر بذات الدين تربت يداك كما في حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺقَالَ: " تُنْكَحُ الْمَرْأَةُ لِأَرْبَعٍ: لِمَالِهَا وَلِحَسَبِهَا وَجَمَالِهَا

(١) صحيح مسلم (١٤٦٧).

وَلِدِينِهَا، فَاظْفَرْ بِذَاتِ الدِّينِ، تَرِبَتْ يَدَاكَ "[1]

قال الخطابي: فيه من الفقه مراعاة الكفاءة في المناكح وأن الدين أولى ما اعتبر فيها. [2]

ومَعْنَى هَذَا الْحَدِيثِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺأَخْبَرَ بِمَا يَفْعَلُهُ النَّاسُ فِي الْعَادَةِ فَإِنَّهُمْ يَقْصِدُونَ هَذِهِ الْخِصَالَ الْأَرْبَعَ وَآخِرُهَا عِنْدَهُمْ ذَاتُ الدِّينِ فَاظْفَرْ أَنْتَ أَيُّهَا الْمُسْتَرْشِدُ بِذَاتِ الدِّينِ. . وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ الْحَثُّ عَلَى مُصَاحَبَةِ أَهْلِ الدِّينِ فِي كُلِّ شَيْءٍ لِأَنَّ صَاحِبَهُمْ يَسْتَفِيدُ مِنْ أَخِلاَقِهِمْ وَبَرَكَتِهِمْ وَحُسْنِ طَرَائِقِهِمْ وَيَأْمَنُ الْمَفْسَدَةَ من جهتهم[3] وعليه فينبغي أن يكون النظر إلى باب الدين قبل النظر إلى جانب الحسن فإنه إذا قل جانب الدين لم ينتفع ذو مروءة بتلك المرأة[4]. وفي الحقيقة فإن كل جمال يزول وذهب إلا جمال الدين والخلق فإنه باق في طبع المرأة الصالحة الملتزمة بدينها[5].

ومن هذه المعايير النسب والأسرة الطيبة فإن وراثة المولود لا يحددها الوالدان المباشران بل هو يرث من جدوده وآبائهم وإن علوا؛ ألا ترى أن قوم مريم عليها السلام قالوا لها: يا أخت هارون ما كان أبوك امرأ سوء وما كانت أمك بغيا. أي: يا أخت هذا الرجل الصالح؛ أبوك كان رجلا فاضلا خَيِّرًا وأُمُّكِ كانت من الصالحات ولم تكن من البغايا الزواني فكيف أتيت أنت بهذا الولد ومن أين جاءك

هذا والولد قد ينزع إلى أحد أخواله أو أعمامه أو أجداده كما قال النبي ﷺ: لعل ابنك هذا نزعه عرق [6]. فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَجُلاً أَتَى النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وُلِدَ لِي غُلاَمٌ أَسْوَدُ، فَقَالَ: ((هَلْ لَكَ مِنْ إِبِلٍ؟))قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: ((مَا أَلْوَانُهَا؟))قَالَ: حُمْرٌ، قَالَ: ((هَلْ فِيهَا مِنْ أَوْرَقَ؟))قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: ((فَأَنَّى ذَلِكَ؟))قَالَ: لَعَلَّهُ نَزَعَهُ عِرْقٌ، قَالَ: ((فَلَعَلَّ ابْنَكَ هَذَا نَزَعَهُ))[1]

---

(١) البخاري (٥٠٩٠).

(٢) معالم السنن (٣/ ١٨٠)

(٣) شرح النووي على مسلم (١٠/ ٥١)

(٤) صيد الخاطر (ص: ٤٣٧).

(٥) مسئولية الأب المسلم ل عدنان باحارث (٣٤).

(٦) فقه تربية الأبناء للشيخ مصطفى العدوي (٣١).

وقد قال النبي ﷺ: تخيروا لنطفكم فأنكحوا الأكفاء وأنكحوا إليهم [٢].

فالأم الصالحة تعلم أولادها القرآن وسنة النبي ﷺومكارم الأخلاق والحلال والحرام وإذا صحبتهم إلى أهلها الصالحين ازدادوا خيرًا وأدبا وعلمًا

وإذا زارت بهم زارت أهل خير وفضل وعلم وصلاح من أمثالها فيزدادُ الأولادُ أدبًا إلى أدبِهم.

ولا يمنع أن ينضاف إلى الدين طلب الجمال فالنفس بفطرتها الطبيعية تميل إلى الصور الحسنة[٣]؛ وقد قال النبي ﷺلبعض أصحابه عندما أراد الزواج: فاذهب فانظر إليها فإن في أعين الأنصار شيئا[٤]. . والْمُرَادُ صِغَرٌ – وهو المعتمد- وَقِيلَ زُرْقَةٌ وَفِي هَذَا دَلَالَةٌ لِجَوَازِ ذِكْرِ مِثْلِ هَذَا لِلنَّصِيحَةِ[٥].

وكذلك المرأة ينغي لها أن تختار لولدها أبا صالحا ذا دين وحسن خلق وأن يكون ذا علم وحسب حتى لا يضيعها ويضيع أولادها فبصلاح الأب يصلح الأبناء في الغالب بل ويعود عليهم وعلى أحفادهم فضل صلاحه أما تقرأ قول الله تعالى: وكان أبوهما صالحا. . الخ القصة في سورة الكهف

وقد قال النبي ﷺ: مثل الجليس الصالح والجليس السوء. . الحديث

والزوجة أكثر مجالسة للك ولأولادك فهل ترضي أن أيكون جليس أولادك كنافخ الكير لا يتعلمون منه إلا السووء؟ وكذلك الزوجة زوجها أكثر جليس لها ولأولادها. . [٦]

٢ـالدعا له قبل ولادته: فقد وصف الله تعالى عباده بقولهم: ربنا هب لنا من ازواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إماما وزكريا عليه السلام لما طلب الولد قال: فهب لي من لدنك وليا

---

(١) صحيح البخاري (٥٣٠٥).

(٢) سنن ابن ماجه (١٩٦٨) وصححه الألباني في الصحيحة (١٠٦٧).

(٣) فقه تربية الأبناء للعدوي (٣٢).

(٤) صحيح مسلم (١٤٢٤).

(٥) شرح النووي على مسلم (٩/ ٢١٠)، وفتح الباري (٩/ ١٨١).

(٦) فقه تربية الأبناء للعدوي (٣٤).

يرثني ويرث من آل يعقوب واجعله رب رضيا. . . ويقول: رب هب لي من لدنك ذرية طيبة إنك سميع الدعاء. وإبراهيم عليه السلام يقول: ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك ويقول: رب هب لي من الصالحين. . .

والذي بلغ أشده وبلغ أربعين سنة يقول: رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي وأن اعمل صالحًا ترضاه وأصلح لي في ذريتي. فأكثر يا عبد الله من طلب الذرية الصالحة ومن الدعاء بصلاح الذرية. (١)

٣-الدعاء قبل الجماع فعنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، يَبْلُغُ النَّبِيَّ ﷺقَالَ: ((**لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا أَتَى أَهْلَهُ قَالَ بِاسْمِ اللَّهِ، اللَّهُمَّ جَنِّبْنَا الشَّيْطَانَ وَجَنِّبِ الشَّيْطَانَ مَا رَزَقْتَنَا، فَقُضِيَ بَيْنَهُمَا وَلَدٌ لَمْ يَضُرَّهُ**))(٢)

٤- عدم التدخين فالتدخين ضار بصحة الأم أثنا الحمل وبعده وله ضرر بالطبع على الطفل أثناء الحمل وهو داخل الرحم فالمرأة التي تتعاطى الدخان تضر بنفسها وتضر بولدها وهو ما زال داخل الرحم وبالتالى بعد خروجه إلى الحياة لو خرج حيا وهذا أمر خطير وقد حذر الأطباء من ذلك كثيرًا وقد حرم الله تعالى شرب الدخان لأنه من الخبائث. . . الخ.

٥- أن تتغذى الأم غذاء جيدًا أثناء الحمل لأن التقصير في هذا الانب يعود بآثار سيئة على الجنين.

٦- شكر الله علي المولود ولو كان أنثى: علي الوالدين والأهل شكر الله علي ما رزقهم ولدً كان أو بنتًا، ويكون هذا الشكر والامتنان باللسان والقلب والفعل. (٣)

٧- تحنيك المولود بعد ولادته: وهو مضغ تمرة، ودلك حنك المولود بها،. . . بحركة لطيفة، فعن أبي موسي قال: ولد لي غلام، فأتيت به النبي ﷺفسماه إبراهيم، فحنكه بتمرة، ودعا له بالبركة، ودفعه إلي، وكان أكبر ولد أبي موسي(٤). ولعل الحكمة في ذلك إثارة اللسان ليتحرك، ولتتحرك

(١) فقه تربية الأبناء للشيخ مصطفى العدوي.

(٢) صحيح البخاري (١٤١).

(٣) موسوعة الأسرة المسلمة (١/ ٥٤٧)

(٤) صحيح البخاري (٥٤٦٧).

عضلات الفم مما يهيئ المولود للرضاعة، وكذلك إيصال كمية من السكريات إلي دم الوليد للوقاية من نقص السكر في الدم الذي يمثل أحد الأخطار التي يتعرض لها الوليد. (١)

٨- البشارة به والفرح عند ولادته ولو كان أنثى: وفى القرآن ما يشير إلى ذلك كما في قصة زكريا {فَنَادَتْهُ الْمَلائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقاً بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّداً وَحَصُوراً وَنَبِيّاً مِنَ الصَّالِحِينَ} (آل عمران: **٣٩**) وقوله: {يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيّاً} (مريم: ٧)، ويمكن أن تكون التهنئة مادية بتقديم الهدايا وغيرها(٢)، فيستحب لمن وُلِد له مولود أن تزف له البشري، وأما قوله في التهنئة بما جاء في الأثر عن الحسن بن علي -رضي الله عنهما-: بورك لك في الموهوب، وشكرت الواهب، وبلغ أشده، ورزقت بره. (٣) فجائز بشرط أن لا يعتقد أنه مرفوع إلى النبي ﷺولا أنه سنه عنه (٤).

وهذه البشارة والتهنئة يجب أن تشمل كل مولود ذكرًا كان أو أنثي دون تفريق بينهما. (٥)

٩ـ تسميته اسما حسنًا: علي الأبوين أن يحسنا اختيار اسم المولود، فقد أوصي رسول اللهﷺ بحسن اختيار الأسماء، إذ جاء رجل فسأله عن اسمه فقال:

اسمي (حَزن) فقال ﷺ: (أنت سهل)(٦). وسأل امرأة عن اسمها، فقالت: اسمي (عاصية). قال: (بل أنت (جميلة)) (١). وقد بين الرسول ﷺأن خير الأسماء وأحسنها عبد الله، و عبد الرحمن،

---

(١) منهج الإسلام في تربية الأولاد (٦٧و٦٨).

(٢) مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة (**٢٣/ ٣٨٦**، بترقيم الشاملة آليا).

(٣) ضعيف. مسند ابن الجعد (**٣٣٩٨**)، ومن طريقه ابن أبي الدنيا في النفقة على العيال (**٢٠١**) وفيه الهيثم بن حماد قال عنه يحيى بن معين في رواية الدروي (**٣٤٠١**) ضعيف، وقال في رواية الدارمي (**٨٤٤**): ليس بشئ. ، وقال أحمد بن حنبل: منكر الحديث ترك حديثه. الجرح والتعديل لابن أبي حاتم (**٩/ ٨١**)(**٣٣٠**).

(٤) سسلة الآداب للدكتور محمد صالح المنجد - (**٣/ ٧**).

(٥) موسوعة الأسرة المسلمة (**١/ ٥٤٧**)، وانظر: تحفة المودود (**٣١**).

(٦) صحيح البخاري (**٦١٩٠**).

قال رسول ﷺ: (إن أحب أسمائكم إلي الله: عبد الله وعبد الرحمن)[٢]. ولا يجوز تسمية المولود بالأسماء التي تشير إلي عبادة غير الله: وعبد الكعبة، وعبد الرسول، وعبد النبي، وعبد الحسين، وعبد المسيح، وما شابه ذلك.

ومن الأسماء المكروهة التي نهي النبي ﷺعن التسمي بها ما جاء عن عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: (لا تسمين غلامك يسارًا ولا رباحًا ولا نجيحًا ولا أفلح)[٣] حتى لا يساء استخدام الاسم، كأن يقول أحد: هنا رباح؟ فيقال: لا، وهكذا. كما لا يجوز تسمية الأبناء بأسماء الشياطين والجبابرة: كالأعور، وفرعون، وقارون، وهامان وكذلك لا يجوز التسمية بأسماء الله -عز وجل- وكذلك لا ينبغي التسمي بالأسماء الغربية، مثل: ديانا، وليزا، وسيمون. فذلك من مظاهر التغريب الذي يحدث للمجتمع المسلم.

ويستحب تكنية الصبي كأبي الخير، وأبي عمير؛ وذلك تكريمًا له وإشعارًا له بالاحترام في كبره بما يقوي شخصيته اجتماعيا ونفسيا، فضلا عن أنها سنة من السنن التي سنها لنا الرسول ﷺ.

١٠ـ حلق رأسه: يستحب حلق رأس المولود إذا كان ذكرًا وفي الأنثي خلاف بين الفقهاء، وذلك في اليوم السابع لإزالة شعر الرأس، ولعل في إزالته تقويةً له، وفتحًا لمسام الرأس، وكذلك تقوية لحاسة البصر والسمع والشم، فعن علي -رضي الله عنه- عق رسول الله ﷺعن الحسن بشاة، وقال: (يا فاطمة، احلقي رأسه وتصدقي بزنة شعره فضة) [٤].

والتصدق بوزن شعره فضة فيه دعوة رمزية إلي التكافل الاجتماعي بين المسلمين، وفي ذلك تحقيق للتراحم والتعاون بين أفراد المجتمع. [٥]

---

(١) صحيح مسلم (٢١٣٩).

(٢) صحيح مسلم ((٢١٣٢)

(٣) صحيح مسلم (٢١٣٧).

(٤) سنن الترمذي (٤/ ٩٩)(١٥١٩) وقال حسن غريب وحسنه الألباني.

(٥) موسوعة الأسرة المسلمة (١/ ٥٤٨).

١١ـ العقيقة عنه يوم سابعه. وهي من السنن التي حث عليها الإسلام، فعن أم كرز الكعبية أنها سألت رسول الله ﷺعن العقيقة، فقال: (عن الغلام شاتان، وعن الجارية شاه، لا يضركم ذكرانًا كن أم إناثًا)(١) أي: الذبائح. وعَنْ سَمُرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: الغُلاَمُ مُرْتَهَنٌ بِعَقِيقَتِهِ يُذْبَحُ عَنْهُ يَوْمَ السَّابِعِ، وَيُسَمَّى، وَيُحْلَقُ رَأْسُهُ (٢) قال الترمذي: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ وَالعَمَلُ عَلَى هَذَا عِنْدَ أَهْلِ العِلْمِ يَسْتَحِبُّونَ أَنْ يُذْبَحَ عَنِ الغُلاَمِ العَقِيقَةُ يَوْمَ السَّابِعِ، فَإِنْ لَمْ يَتَهَيَّأْ يَوْمَ السَّابِعِ فَيَوْمَ الرَّابِعَ عَشَرَ، فَإِنْ لَمْ يَتَهَيَّأْ عُقَّ عَنْهُ يَوْمَ حَادٍ وَعِشْرِينَ، وَقَالُوا: لاَ يُجْزِئُ فِي العَقِيقَةِ مِنَ الشَّاةِ إِلاَّ مَا يُجْزِئُ فِي الأُضْحِيَّةِ. ويستحب في العقيقة التصدق وتوزيع اللحم، والأفضل أن تُطبَخ العقيقة، ويهدي منها إلي الفقراء والمساكين. والعقيقة فيها معني القربان، والشكر، والفداء، والصدقة، وإطعام الطعام شكرًا لله، إظهارًا للنعمة، وتمتين لروابط الألفة والمحبة بين أبناء المجتمع، وإرفاد موارد التكافل الإجتماعي برفد جديد(٣).

١٢ـ الختان وهو من سنن الفطرة: قال رسول الله ﷺ: (الفطرة خمس: الختان، والاستحداد، وقص الشارب، وتقليم الأظافر، ونتف الآباط): قال ابن قدامة: فَأَمَّا الْخِتَانُ فَوَاجِبٌ عَلَى الرِّجَالِ، وَمَكْرُمَةٌ فِي حَقِّ النِّسَاءِ، وَلَيْسَ بِوَاجِبٍ عَلَيْهِنَّ. هَذَا قَوْلُ كَثِيرٍ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ. . . ثم قال: وَيُشْرَعُ الْخِتَانُ فِي حَقِّ النِّسَاءِ أَيْضًا، قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ حَدِيثُ النَّبِيِّ ﷺ: ((إذَا الْتَقَى الْخِتَانَانِ وَجَبَ الْغُسْلُ))فِيهِ بَيَانُ أَنَّ النِّسَاءَ كُنَّ يَخْتَتِنَّ(٤). . وهو عند الشافعية واجب على الذكور والإناث(٥).

---

(١) سنن أبي داود (٣/ ١٠٥)(٢٨٣٤)، وصححه الألباني في إرواء الغليل (١١٦٦).

(٢) سنن الترمذي (١٥٢٢) وقال حسن صحيح.

(٣) تربية الأولاد في الإسلام لسعيد عبد العزيز (٧٤-٧٦).

(٤) المغني لابن قدامة (١/ ٦٤).

(٥) الفقه المنهجب على مذهب الإمام الشافعي (٣/ ٦٢).

والختان من تمام الحنيفية التي شرعها الله علي لسان إبراهيم -عليه السلام- كما أنه يميز المسلم عن بعض أصحاب العقائد الأخري. .[1]

١٣ـ حق الطفل في الرضاعة من أمه إلى حين يتقوى – إلى سنتين –

قال تعالي: { وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ } [البقرة: **٢٣٣**].

---

(١)موسوعة الأسرة المسلمة (**١/ ٥٤٩**). فائدة: وهناك فوائد صحية عديدة للختان أوضحها الأطباء، ومنها:
- التخلص من الإفرازات الدهنية والسيلان الشحمي المقزز للنفس، وتقليل الإصابة بالسرطان، وتجنب الإصابة بسلس البول الليلي الناتج من التهاب المثانة، والتقليل من الالتهابات في الحشفة وقناة مجري البول، وتجنب اختناق المخرج في بعض الحالات.

والختان مستحب للأنثي، وهو مكرمة لها، وتزيين لها، ونظافة، وتهذيب للشهوة، ولكن يجب أن نأخذ في الاعتبار عدم المبالغة فيه؛ لأن ذلك يضعف شهوتها. فعن أم عطية الأنصارية أن امرأة كانت تختن بالمدينة، فقال لها النبي ﷺ"لا تَنْهِكِي (لا تبالغي في القطع)؛ فإن ذلك أحظي للمرأة وأحب للبعل"، وعن ميمونة زوج النبي ﷺأنها قالت للخاتنة: إذا خفضت فأَشِمِّي ولا تنهكي، فإنه أسري للوجه، وأحظي عند زوجها. والمعني أنَّ الخافضة إذا استأصلت جلدة الختان ضعفت شهوة المرأة؛ فَقَلَّت حظوتها عند زوجها، كما أنها إذا تركتها كما هي، فلم تأخذ منها شيئًا زادت شهوتها، وإذا أخذت منها وأبقت، كان ذلك تعديلا للخلقة والشهوة، فالأولي الاعتدال في الأخذ

ومن فوائد الختان للبنات ما يلي: **١**. الختان عَلَماً لمن يضاف إلى ملة إبراهيم ودينه. عليه السلام .. **٢**. الختان طهارة ونظافة وتزيين وتحسين للخلق. **٣**. الختان تعديل للشهوة وتنظيم لها وجعلها متوسطة بين الحيوانية والجمادية. **٤**. الختان زينة، وأي زينة أحسن من أخذ ما طال وجاوز الحد من جلدة القلفة وشعر العانة والإبط والشارب و ما طال من الظفر. **٥**. الختان بهاء للوجه وضياء يظهر عليه وتخلص من الكسفة التي ترى عليه. **٦**. الختان أحب للبعل – أى للزوج – ويكون أندم للحب بين الزوجين **٧**. الختان يساعد على الحد من السحاق – وهو مباشرة المرأة للمرأة –. **٨**. ومن فوائد الختان ما ذكره الدكتور أبو بكر عبد الرزاق فى كتاب رأى العلم والدين فى ختان الأولاد والبنات: أن الافرازات الدهنية المنفرزة من الشفرين الصغيرين إن لم يقطعها مع جزء من البظر فى الختان، تتجمع وتترنخ ويكون لها رائحة غير مقبولة، وتحدث التهابات قد تمتد إلى المهبل بل إلى قناة مجرى البول. **٩**. هذا القطع كما أشرنا يقلل الحساسية للبنات حيث لا شيء لديها ينشأ عند احتكا ك جالب للاشتهاء، وحينئذ لا تصير البنت عصبية. نقلا عن كتاب أخطاء عامة تقع فيها النساء (ص: **٢١**).

وقال عز وجل: { وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا } [الأحقاف: ١٥].

ويقرب من ذلك حضانة الطفل؛ فالطفل في سنواته الأولي يحتاج إلي من يقوم بشئونه، وهي أمر مشترك بين الزوجين فإذا وقع الطلاق، الطلاق فلا يمكن للصغير إلا أن يكون مع أحد أبويه، وهنا تكون الأم أولي بحضانته؛ لأن المرأة أقدر علي تربية الطفل، وأدري بما يلزمه، وأكثر شفقة عليه، وقد وكل الإسلام القيام علي أمر تربية الصغير إلي أمه؛ لأنها ترضع، والصغير يحتاج إلي الرضاعة؟ ، ومما يدل على ذلك حديثُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، أَنَّ امْرَأَةً قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ ابْنِي هَذَا كَانَ بَطْنِي لَهُ وِعَاءً، وَثَدْيِي لَهُ سِقَاءً، وَحِجْرِي لَهُ حِوَاءً، وَإِنَّ أَبَاهُ طَلَّقَنِي، وَأَرَادَ أَنْ يَنْتَزِعَهُ مِنِّي، فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ((أَنْتِ أَحَقُّ بِهِ مَا لَمْ تَنْكِحِي)). وقد حرم الله تعالى التفريق بين الولد وأمه صغيرًا كان أو كبيرًا، من غير ضرورة تقتضي التفريق بينهما؛ فعَنْ أَبِي أَيُّوبَ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺيَقُولُ: مَنْ فَرَّقَ بَيْنَ الوَالِدَةِ وَوَلَدِهَا فَرَّقَ اللَّهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَحِبَّتِهِ يَوْمَ القِيَامَةِ(١)

١٤ـ تدريبه على الكلام وتسهيله عليه وقت التكلم: قال ابن القيم: فَإِذا كَانَ وَقت نطقهم فليلقنوا لَا إِلَه إِلَّا الله مُحَمَّد رَسُول الله وَليكن أول مَا يقرع مسامعهم معرفَة الله سُبْحَانَهُ وتوحيده(٢)

---

(١) سنن أبي داود (٢٢٧٦) وحسنه الألباني. فائدة في شروط الحاضن: (١) الإسلام: فلا حضانة لغير المسلمة. (٢) عدم الزواج، (٣) الأمانة والخلق وحسن السيرة (٤) العلم بأصول التربية مع القدرة عليها. (٥) السلامة من الأمراض النفسية والعقلية أو الأمراض المعدية. (٦) التفرغ لحضانة الصغير: إذ هو الأصل والعلة الأولي التي جعلت للأم حق الحضانة. وكل عمل تقوم به الأم، أو أي نشاط تمارسه – إلا إذا كانت مضطرة إلي ذلك – يكون من شأنه أن يقلل من عطائها لأبنائها واهتمامها بهم، فهو عمل أو نشاط غير مقبول؛ لما يترتب عليه من حرمان الطفل حقه في الحب والرعاية، ومن مخالفة لفطرة المرأة ورسالتها التي جُبِلت عليها. نقًلا عن موسوعة الأسرة المسلمة (١/ ٥٧٧).

(٢) تحفة المودود بأحكام المولود (ص: ٢٣١)

١٥ـ توفير الراحة والهدوء والغذاء الطيب وتجنيبه مجالس اللهو: قال ابن القيم: وَمِمَّا يحْتَاج إِلَيْهِ الطِّفْل غَايَة الِاحْتِيَاج الاعتناء بِأَمْر خلقه فَإِنَّهُ ينشأ على مَا عوده المربي فِي صغره من حرد وَغَضب ولجاج وعجلة وخفة مَعَ هَوَاهُ وطيش وحدة وجشع فيصعب عَلَيْهِ فِي كبره تلافي ذَلِك وَتصير هَذِه الْأَخْلاَق صِفَات وهيئات راسخة لَهُ فَلَو تحرز مِنْهَا غَايَة التَّحَرُّز فضحته وَلَا بُد يَوْمًا مَا وَلِهَذَا تَجِد أَكثر النَّاس منحرفة أَخْلاَقهم وَذَلِكَ من قبل التربية الَّتِي نَشأ عَلَيْهَا وَكَذَلِكَ يجب أَن يتَجَنَّب الصَّبِي إِذا عقل مجَالِس اللَّهْو وَالْبَاطِل والغناء وَسَمَاع الْفُحْش والبدع ومنطق السوء فَإِنَّهُ إِذا علق بسمعه عسر عَلَيْهِ مُفَارقَته فِي الْكبر وَعز على وليه استنقاذه مِنْهُ فتغيير العوائد من أصعب الْأُمُور يحْتَاج صَاحبه إِلَى استجداد طبيعة ثَانِيَة وَالْخُرُوج عَن حكم الطبيعة عسر جدا وَيَنْبَغِي لوَلِيِّه أَن يجنبه الْأَخْذ من غَيره غَايَة التجنب فَإِنَّهُ مَتى اعْتَادَ الْأَخْذ صَار لَهُ طبيعة وَنَشَأ بِأَن يَأْخُذ لَا بِأَن يُعْطي ويعوده الْبَذْل والإعطاء وَإِذا أَرَادَ الْوَلِيّ أَن يُعْطي شَيْئا أعطَاهُ إِيَّاه على يَده ليذوق حلاوة الْإِعْطَاء ويجنبه الْكَذِب والخيانة أعظم مِمَّا يجنبه السم الناقع فَإِنَّهُ مَتى سهل لَهُ سَبِيل الْكَذِب والخيانة أفسد عَلَيْهِ سَعَادَة الدُّنْيَا وَالْآخِرَة وَحرمه كل خير ويجنبه الكسل والبطالة والدعة والراحة بل يَأْخُذهُ بأضدادها وَلَا يريحه إِلَّا بِمَا يجم نَفسه وبدنه للشغل فَإِن الكسل والبطالة عواقب سوء ومغبة نَدم وللجد والتعب عواقب حميدة إِمَّا فِي الدُّنْيَا وَإِمَّا فِي العقبى وَإِمَّا فيهمَا فأروح النَّاس أتعب النَّاس وأتعب النَّاس أروح النَّاس فالسيادة فِي الدُّنْيَا والسعادة فِي العقبى لَا يُوصل إِلَيْهَا إِلَّا على جسر من التَّعَب قَالَ يحيى بن أبي كثير لَا ينَال الْعلم براحة الْجِسْم ويعوده الانتباه آخر اللَّيْل فَإِنَّهُ وَقت قسم الْغَنَائِم وتفريق الجوائز فمستقل ومستكثر ومحروم فَمَتَى اعْتَادَ ذَلِك صَغِيرا سهل عَلَيْهِ كَبِيرا ويجنبه فضول الطَّعَام وَالْكَلاَم والمنام ومخالطة الْأَنَام فَإِن الخسارة

فِي هَذِه الفضلات وَهِي تفوت على العَبْد خير دُنْيَاهُ وآخرته ويجنبه مضار الشَّهَوَات الْمُتَعَلّقَة بالبطن والفرج غَايَة التجنب فَإِن تَمْكِينه من أَسبَابهَا والفسح لَهُ فِيهَا يُفْسِدهُ فَسَادًا يعز عَلَيْهِ بعده صَلاَحه وَكم مِمَّن أَشْقَى وَلَده وفلذة كبده فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَة بإهماله وَترك تأديبه وإعانته لَهُ على

شهواته وَيَزْعُم أَنه يُكرمهُ وَقد أهانه وَأَنه يرحمه وَقد ظلمه وَحرمه ففاته انتفاعه بولده وفوت عَلَيْهِ حَظه فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَة وَإِذا اعْتبرت الْفساد فِي الْأَوْلَاد رَأَيْت عامته من قبل الْآبَاء[1]

١٥ـ تأديبه وتعليمه بالرأفة والرحمة؛ فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال النبي صلى الله عليهخ وسلم " علقوا السوط حيث يراه أهل البيت فإنه لهم أدب ". [2]

١٦ـ تعليمه الصلاة والذهاب به إلى المسجد إذا كان مميزًا: عَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ((مُرُوا أَوْلَادَكُمْ بِالصَّلاَةِ وَهُمْ أَبْنَاءُ سَبْعِ سِنِينَ، وَاضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا، وَهُمْ أَبْنَاءُ عَشْرٍ وَفَرِّقُوا بَيْنَهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ"[3]. فإذا كان الرجل في منزله وسمع الآذان، فعليه أن يذهب فورا إلي المسجد ويصطحب معه أولاده، وبذلك يربي فيهم حب الصلاة، ويعودهم علي الذهاب إلي المسجد، فالولد يراقب اهتمامات ولده. . . وعلى الأم تحث أولادها على الصلاة، ففى الحديث " المرأة راعية في بيت زوجها ومسئولة عن رعيتها " متفق عليه.

١٧ـ تربية الأطفال علي اتباع السنة: فعن عمر بن أبي سلمة، قال: كنت غلاما في حجر رسول الله ﷺ، فكانت يدي تطيش في الصحفة فقال لي رسول الله ﷺ: ((**يَا غُلَامُ، سَمِّ اللَّهَ، وَكُلْ بِيَمِينِكَ، وَكُلْ مِمَّا يَلِيكَ**))فَمَا زَالَتْ تِلْكَ طِعْمَتِي بَعْدُ[4]

وزجرهم عند مخالفة أمره ونهيهﷺ، وعَنِ ابْنِ شِهَابٍ، قَالَ: أَخْبَرَنِي سَالِمُ بْنُ عَبْدِ اللهِ، أَنَّ عَبْدَ اللهِ بْنَ عُمَرَ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺيَقُولُ: لاَ تَمْنَعُوا نِسَاءَكُمُ الْمَسَاجِدَ إِذَا اسْتَأْذَنَكُمْ إِلَيْهَا، قَالَ: فَقَالَ بِلاَلُ بْنُ عَبْدِ اللهِ: وَاللَّهِ لَنَمْنَعُهُنَّ، قَالَ: فَأَقْبَلَ عَلَيْهِ عَبْدُ اللهِ: فَسَبَّهُ سَبًّا سَيِّئًا مَا سَمِعْتُهُ سَبَّهُ مِثْلَهُ قَطُّ وَقَالَ: أُخْبِرُكَ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺوَتَقُولُ: وَاللَّهِ لَنَمْنَعُهُنَّ[5].

---

(١) تحفة المودود بأحكام المولود (ص: ٢٤٠).

(٢) أخرجه الطبراني في الكبير (٣ / ٩٢ / ٢) سلسلة الأحاديث الصحيحة (١٤٤٧).

(٣) سنن أبي داود (٤٩٥) وصححه الألباني في الإرواء (٢٤٧).

(٤) صحيح البخاري (٧/ ٦٨)٥٣٧٦

(٥) صحيح مسلم (٤٢٢).

وفي رواية: أحدثك عن رسول الله ﷺ وتقول هذا فوالله ما أكلمك أبداً، قال فما كلمه عبدالله حتى مات. (١)

١٨- تربية الأطفال علي حفظ السر: وهذه أم سليم رضي الله عنها تأمر ابنها أنس أن يحفظ سر رسول الله ﷺ؛ فعن ثَابِتٍ، عَنْ أَنَسٍ، قَالَ: أَتَى عَلَيَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَأَنَا أَلْعَبُ مَعَ الْغِلْمَانِ، قَالَ: فَسَلَّمَ عَلَيْنَا، فَبَعَثَنِي إِلَى حَاجَةٍ، فَأَبْطَأْتُ عَلَى أُمِّي، فَلَمَّا جِئْتُ قَالَتْ: مَا حَبَسَكَ؟ قُلْتُ بَعَثَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ لِحَاجَةٍ، قَالَتْ: مَا حَاجَتُهُ؟ قُلْتُ: إِنَّهَا سِرٌّ، قَالَتْ: لَا تُحَدِّثَنَّ بِسِرِّ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَحَدًا قَالَ أَنَسٌ: وَاللهِ لَوْ حَدَّثْتُ بِهِ أَحَدًا لَحَدَّثْتُكَ يَا ثَابِتُ(٢)

١٩- تربية الأطفال علي ترك الحرام: عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: أخذ الحسن بن علي (رضي الله عنهما) تمرة من تمر الصدقة فجعلها في فيه، فقال رسول الله ﷺ: كُخِ كُخ، ارم بها، أما علمت أنا لا نأكل الصدقة " (٣) وهكذا كان الصالحون يخافون علي أنفسهم وأولادهم من أكل الحرام. . فهذا والد الامام البخاري (رحمه الله) كان تاجرا، فلما مرض، قال له: يا بني! لقد تركت لك خمسين الف درهم لا أجد فيها درهما فيه شبهة.

٢٠- تربية الأطفال علي الصدق: عن عبد الله بن عامر - رضي الله عنه - قال: دعتني أمي يوما ورسول الله ﷺ قاعد في بيتنا، فقالت: ها،؟ تعال أعطيك، فقال ﷺ: " ما أردت أن تعطيه؟ قالت: أعطيه تمراً. فقال لها: أما إنك لو لم تعطه شيئاً كتبت عليك كذبة " (٤).

فلو كذبت المرأة أولادها في الحديث معهم. . حتى ولو كان الحديث في التسلية أو الضحك. . لعلمتهم الكذب وهي لا تشعر. فيجب علي المرأة أن تراعي الصدق مع أولادها، فلو طُرق الباب وفتح الولد الباب فسأله الطارق عن أبيه، نعوده أن يقول الصدق.

---

(١) مسند أحمد ط الرسالة (٨/ ٥٢٧)٤٩٣٣

(٢) صحيح مسلم (٤/ ١٩٢٩)(٢٤٨٢)

(٣) صحيح البخاري (٢/ ١٢٧)(١٤٩١).

(٤) سنن أبي داود (٤/ ٢٩٨) ٤٩٩١ وحسنه الألباني.

٢١- تربية الأطفال علي الخوف من الله – عز وجل –: ففي وصايا النبي ﷺ العشر، لمعاذ قال: وأنفق علي عيالك من طولك، ولا ترفع عنهم عصاك أدبا، وأخفهم في الله "[١].

٢٢- تربية الأطفال علي حب العلم وطلبه. قال وكيع: قالت أم سفيان الثوري لسفيان: يا بني! اطلب العلم وأنا أكفيك بمغزلي. . وقالت له: يا بني! إذا كتبت عشرة أحرف، فانظر هل تري في نفسك زيادة في حلمك ووقارك، فإن لم يزدك فاعلم أنه لا يضرك ولا ينفعك.

٢٣- تربية الأطفال علي الشجاعة ومجالسة الكبار للاستفادة منهم.

٢٤- التربية علي حب الحياء والستر.

٢٥- التربية علي الزهد وحب الفضائل.

٢٦ – التربية علي بر الآباء وطاعتهم

٢٧- نُربي في نفوس الأطفال علو الهمة:

فمن العجز أن يزدري المرء بنفسه، فلا يقيم لها وزنا، وأن ينظر إلي من هو فوقه من الناس، نظر الحيوان الأعجم إلي الحيوان الناطق، فإن الرجل إذا صغرت نفسه في عينه يأبي لها من أعماله إلا ما يشاكل منزلتها عنده، فتراه صغيراً في مروءته وهمته، صغيراً في ميوله وأهوائه. . صغيرا في في جميع شؤونه وأعماله، فإن عظمت نفسه عظم بجانبها كل ما كان صغيراً في جانب النفس الصغيرة.

وقد اجتمع فى الحجر عبد الله بن الزبير، ومصعب بن الزبير، وعروة بن الزبير، وعبد الله بن عمر – رضي الله عنهم – فقالوا تمنوا:

فقال عبد الله بن الزبير: أما أنا فأتمنى الخلافة. وقال عروة بن الزبير: أما أنا فأتمنى أن يؤخذ عنى العلم. وقال مصعب بن الزبير: أما أنا فأتمنى إمرة العراق والجمع بين عائشة بنت طلحة وسكينة بنت الحسين. وقال عبد الله بن عمر: أما أنا فأتمنى المغفرة. فنالوا ما تمنوا. . ولعل ابن عمر قد غفر له. فنربي في الطفل علو الهمة، والنظر إلي العظماء ليكون عظيما مثلهم.

---

(١) مسند أحمد (٥/٢٣٨) وصححه الألباني في إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل (٧/ ٨٩)(٢٠٢٦).

٢٨- ومما يذكر في هذا الشأن الإمام الشافعي رحمه الله حيث يقول: حفظت القرآن وأنا ابن سبع سنين، وحفظت الموطأ وأنا ابن عشر سنين "(١).

- وفي بيت واحد، من بيوت المسلمين نبغ ثلاثة إخوة في العلم، وهم:

١) نصر الدين بن الأثير. . عُرف بالأدب. . ومن كتبه (المثل السائر).

٢) محمد مجد الدين بن الأثير. . ونبغ في علم الحديث. . ومن كتبه (النهاية في غريب الحديث، وجامع الأصول في أحاديث الرسول)

٣) علي عز الدين بن الأثير، وقد نبغ في علم التاريخ، وهو صاحب كتاب الكامل في التاريخ.

وكأن الله عز وجل حقق فيهم نية والديهم، فقد ظهرت نواياهم من خلال أسمائهم (نصر الدين. . مجد الدين. . عز الدين).

٢٩- العدل بين الأبناء. عن النُّعْمَانَ بْنَ بَشِيرٍ رضي الله عنهما، وَهُوَ عَلَى المِنْبَرِ يَقُولُ: أَعْطَانِي أَبِي عَطِيَّةً، فَقَالَتْ عَمْرَةُ بِنْتُ رَوَاحَةَ: لاَ أَرْضَى حَتَّى تُشْهِدَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَأَتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: إِنِّي أَعْطَيْتُ ابْنِي مِنْ عَمْرَةَ بِنْتِ رَوَاحَةَ عَطِيَّةً، فَأَمَرَتْنِي أَنْ أُشْهِدَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: ((أَعْطَيْتَ سَائِرَ وَلَدِكَ مِثْلَ هَذَا؟ "، قَالَ: لاَ، قَالَ: ((فَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْدِلُوا بَيْنَ أَوْلاَدِكُمْ"، قَالَ: فَرَجَعَ فَرَدَّ عَطِيَّتَهُ))(٢).

نسأل الله أن يحفظ أبنائنا من كل سوء

والحمد لله رب العالمين

(١) تاريخ بغداد (٢/ ٣٩٢).

(٢)البخاري (٢٥٨٧).

٤ـ دروس وعبر من قصة الأبرص والأقرع والأعمى

عناصر الخطبة

نص القصة شرح الحديث وما يستفاد منه

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أَنَّهُ سَمِعَ رَسُوْلَ اللَّهِ ﷺ يقولُ: "إِنَّ ثَلاَثَةً مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ: أَبرَصَ، وَأقرَعَ، وَأعْمَى، أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَبْتَلِيَهُمْ، فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ مَلَكاً، فَأَتَى الأَبْرَصَ فَقَالَ: أَيُّ شَيءٍ أحبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: لَوْنٌ حَسَنٌ، وَجِلْدٌ حَسَنٌ، وَيَذْهَبُ عَنِّي الَّذِي قَدْ قَذِرَنِي النَّاسُ. فَمَسَحَهُ، فَذَهَبَ عَنْهُ قَذَرُهُ، وَأُعْطِيَ لَوْناً حَسَناً. قَالَ: فَأيُّ المَالِ أحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: الإِبِلُ -أوْ قَالَ: البَقرُ شَكَّ الرَّاوِى-، فأُعْطِيَ نَاقَةً عُشَراءَ، فَقَالَ: بَارِكَ اللَّهُ لَكَ فِيْهَا. فَأَتَى الأَقْرَعَ، فَقَالَ: أيُّ شَيءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: شَعْرٌ حَسَنٌ، وَيَذْهَبُ عَنِّي هَذَا الَّذِي قَذِرَنِي النَّاسُ. فَمَسَحَهُ، فَذَهَبَ عَنْهُ، وَأعْطِيَ شَعْراً حَسَناً. قَالَ: فَأيُّ المَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: البَقرُ. فَأعْطِيَ بَقَرَةً حَامِلاً، وَقَالَ: بَارَكَ اللَّهُ لَكَ فِيْهَا. فَأَتَى، الأَعْمَى، فَقَالَ: أيُّ شَيءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: أَنْ يَرُدَّ اللَّهُ إِلَيَّ بَصَرِي، فَأُبْصِرُ النَّاسَ. فَمَسَحَهُ فَرَدَّ اللَّهُ إِلَيْهِ بَصَرَهُ. قَالَ: أيُّ المَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: الغَنَمُ، فَأعْطيَ شَاةٍ وَالِدَاً، فَأَنْتَجَ هَذَانِ، وَوَلَدَ هَذَا، فَكَانْ لِهَذَا وَادٍ مِنَ الإِبِلِ، وَلِهَذَا وَادٍ مِنَ البَقرِ، وَلِهَذَا وَادٍ مِنَ الغَنَمِ. ثُمَّ إِنَّهُ أَتَى الأَبْرَصَ في صُوْرَتِهِ وَهَيْئَتِهِ، فَقَالَ: رَجُلٌ مِسْكِيْنٌ، قَدِ انْقَطَعَتْ بِيَ الحِبَالُ في سَفَرِي، فَلاَ بَلاَغَ لِيَ اليَوْمَ إِلَّا بِاللَّهِ ثُمَّ بِكَ، أَسْأَلُكَ بِالَّذِي أَعْطَاكَ اللَّوْنَ الحَسَنَ، والجِلْدَ الحسَنَ، وَالمَالَ، بَعِيْراً أَتَبَلَّغُ بِهِ في سَفَرِي. فَقَالَ: الحُقُوْقُ كَثِيْرَةٌ. فَقَالَ: كَأَنِّي أَعْرِفُكَ، أَلَمْ تَكُ أَبْرَصَ يَقْذُرُكَ النَّاسُ، فَقِيْرَاً فَأعطَاكَ اللَّهُ؟! ، فَقَالَ: إِنَّمَا وَرِثْتُ هَذَا المَالَ كَابِرَاً عَنْ كَابِرٍ! ! فَقَالَ: إِنْ كُنْتَ كَاذِبَاً فَصَيَّرَكَ اللَّهُ إِلَى مَا كُنتَ.

وَأَتَى الأَقْرَعَ في صُوْرَتِهِ وَهَيْئَتِهِ، فَقَال لَهُ مِثْلَ مَا قَال لِهَذَا، وَرَدَّ عَلَيْهِ مِثْلَ مَا رَدَّ هَذَا. فَقَالَ: إِنْ كُنْتَ كَاذِبَاً فَصَيَّرَكَ اللَّهُ إِلَى مَا كُنْتَ.

وَأتى الأَعْمَى في صُوْرَتِهِ وَهَيْئَتِهِ، فَقَالَ: رَجُلٌ مِسْكِيْنٌ وَابْنُ سَبِيْلٍ انْقَطَعَتْ بِيَ الحِبَالُ في سَفَرِي، فَلاَ بَلاَغَ لِيَ اليَوْمَ إِلَّا بِاللَّهِ ثُمَّ بِكَ، أَسْأَلُكَ بِالَّذِى رَدَّ عَلَيْكَ بَصَرَكَ، شَاْةً أَتَبَلَّغُ بِهَا في سَفَرِي؟. فَقَالَ: قَدْ كُنْتُ أَعْمَى فَرَدَّ اللَّهُ إِلَيَّ بَصَرِي، فَخُذْ مَا شِئْتَ، وَدَعْ مَا شِئْتَ، فَوَاللَّهِ مَا أَجْهَدُكَ اليَوْمَ بِشَيْءٍ

أَخَذْتَهُ لِلَّه عَزَّ وَجَلَّ فَقَالَ: أَمْسِكْ مَالَكَ، فَإِنَّمَا ابْتُلِيْتُمْ، فَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْكَ، وَسَخِطَ عَلَى صَاحِبَيْكَ". (١)

شرح الحديث وما يستفاد منه:

قوله: (وعن أبي هريرة رضي الله عنه، أنه سمع النبي ﷺ يقول: أن ثلاثة من بني إسرائيل).

اعلم أن جميع القصص الواردة في القرآن وصحيح السنة ليس المقصود بها مجرد الخبر، بل يقصد منها العبرة والعظة مع ما تكسب النفس من الراحة والسرور، قال الله تعالى: {لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ} [يوسف: ١١١].

قوله: (من بني إسرائيل) بنو إسرائيل هم ذرية يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام.

يستفاد من هذا:

١- أن الرسول ﷺ يقص علينا أنباء بني إسرائيل لأجل الاعتبار والاتعاظ بما جرى وهو أحد الأدلة لمن قال: إن شرع من قبلنا شرع لنا ما لم يرد شرعنا بخلافه، ولا شك أن هذه قاعدة صحيحة. (٢)

٢- جَوَازُ ذِكْرِ مَا وقع لِمَنْ مَضَى وَلَا يَكُونُ ذَلِكَ غِيبَةً لهم وَلَعَلَّ هَذَا هُوَ السِّرُّ فِي تَرْكِ تَسْمِيَتِهِمْ وَلَمْ يُفْصِحْ بِمَا اتَّفَقَ لَهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ وَالَّذِي يَظْهَرُ أَنَّ الْأَمْرَ فِيهِمْ وَقَعَ كَمَا قَالَ الْمَلَكُ. (٣)

قوله: (أبرص) أي: في جلده برص، والبرص داء معروف، وهو من الأمراض المستعصية التي لا يمكن علاجها بالكلية، وربما توصلوا أخيرا إلى عدم انتشارها وتوسعها في الجلد، لكن رفعها لا يمكن، ولهذا جعلها الله آية لعيسى، قال تعالى: {وَتُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي} [المائدة: ١١٠].

يستفاد من هذا:

٣- بيان قدرة الله - عز وجل - بإبراء الأبرص والأقرع والأعمى من هذه العيوب التي فيهم بمجرد مسح الملك لهم.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٤٦٤)، و مسلم (٤/ ٢٢٧٥) رقم (٢٩٦٤) وغيرهما.

(٢) مجموع فتاوى ورسائل العثيمين (١٠/ ٨٨٢: ٨٦٩).

(٣) فتح الباري لابن حجر (٦/ ٥٠٢: ٥٠٣).

قوله: (فأراد الله) وفي بعض النسخ: (أراد الله). أي إن ثلاثة من بني إسرائيل أبرص وأقرع وأعمى أنعم الله عليهم فأراد الله أن يبتليهم.

قوله: (يبتليهم) أي: يختبرهم، كما قال الله تعالى: {وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً} [الأنبياء: **٣٥**]، وقال تعالى: {هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ} [النمل: **٤٠**].

يستفاد من هذا:

٤- أن الله قد يبتلي بعض عباده ليتعظ الآخرين ويتعلموا من أخطائهم فلا يقعوا في مثل ما وقعوا فيه.

٥- أن إرادة الله نوعان: كونية، وشرعية.

والفرق بينهما أن الكونية يلزم فيها وقوع المراد ولا يلزم أن يكون محبوبا لله، فإذا أراد الله شيئا قال له كن فيكون.

وأما الشرعية: فإنه لا يلزم فيه وقوع المراد ويلزم أن يكون محبوبا لله، ولهذا نقول: الإرادة الشرعية بمعنى المحبة والكونية بمعنى المشيئة. (١)

قوله: (ملكا) أحد الملائكة: هم عالم غيبي خلقهم الله من نور وجعلهم قائمين بطاعة الله، لا يأكلون، ولا يشربون، يسبحون الليل والنهار لا يفترون، لهم أشكال وأعمال ووظائف مذكورة في الكتاب والسنة، ويجب الإيمان بهم، وهو أحد أركان الإيمان الستة.

يستفاد من هذا:

---

(١) يقول ابن عثيمين رحمه الله (فإن قيل: هل الله يريد الخير والشر كونا أو شرعا؟

أجيب: إن الخير إذا وقع، فهو مراد لله كونا وشرعا، وإذا لم يقع، فهو مراد لله شرعا فقط، وأما الشر فإذا وقع، فهو مراد لله كونا لا شرعا وإذا لم يقع، فهو غير مراد كونا ولا شرعا، واعلم أن الشر لا ينسب إلى فعل الله - سبحانه - ولكن إلى مخلوقات الله، فكل فعل الله تعالى خير؛ لأنه صادر عن حكمة ورحمة، ولهذا قال النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: ﴿والخير كله في يديك، والشر ليس إليك﴾ وأما مخلوقات الله، ففيها خير وشر).

٥- أن الملائكة يتشكلون حتى يكونوا على صورة البشر، لقوله: "فأتى الأبرص في صورته"، وكذلك الأقرع والأعمى لكن هذا - والله أعلم - ليس إليهم وإنما يتشكلون بأمر الله تعالى.

٦- أن الملائكة أجسام وليسوا أرواحا أو معاني أو قوى فقط. (١)

قَوْلُهُ: (قَذِرَنِي النَّاسُ) بِفَتْحِ الْقَافِ وَالذَّالِ الْمُعْجَمَةِ الْمَكْسُورَةِ أَيِ اشْمَأَزُّوا مِنْ رُؤْيَتِي، وكرهوا مخالطتي من أجله، وَفِي رِوَايَةٍ حَكَاهَا الْكِرْمَانِيُّ قَذِرُونِي النَّاسُ وَهِيَ عَلَى لُغَةِ أَكَلُونِي الْبَرَاغِيثُ.

قَوْلُهُ: (فَمَسَحَهُ) أَيْ مَسَحَ عَلَى جِسْمِهِ، ليتبين أن لكل شيء سببا وبرئ بإذن الله تعالى.

قوله: (فذهب عنه قذره) بدأ بذهاب القذر قبل اللون الحسن والجلد الحسن؛ لأنه يبدأ بزوال المكروه قبل حصول المطلوب.

يستفاد من هذا:

٧- بيان قدرة الله وأنه لايعجزه شيء في الأرض ولا في السماء.

قَوْلُهُ: (فَقَالَ وَأَيُّ الْمَالِ) فِي رِوَايَةِ الْكُشْمِيهَنِيِّ بِحَذْفِ الْوَاوِ.

قَوْلُهُ: (الْإِبِلُ أَوْ قَالَ الْبَقَرُ) هُوَ شَكٌّ فِي ذَلِكَ أَنَّ الْأَبْرَصَ وَالْأَقْرَعَ قَالَ أَحَدُهُمَا الْإِبِلُ وَقَالَ الْآخَرُ الْبَقَرُ وَقَعَ عِنْدَ مُسْلِمٍ عَنْ شَيْبَانَ بْنِ فَرُّوخَ عَنْ هَمَّامٍ التَّصْرِيحُ بِأَنَّ الَّذِي شَكَّ فِي ذَلِكَ هُوَ إِسْحَاقَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ رَاوِي الْحَدِيثِ، والظاهر أنه الإبل كما يفيده السياق.

يستفاد من هذا:

٨- حرص الرواة وأمانتهم في نقل الحديث بلفظه.

قَوْلُهُ: (فَأُعْطِيَ نَاقَةً عُشَرَاءَ) أَيِ الَّذِي تَمَّتْ لَهُ الْإِبِلَ وَالْعُشَرَاءُ بِضَمِّ الْعَيْنِ الْمُهْمَلَة وَفتح الشين الْمُعْجَمَة مَعَ المد هى الْحَامِلُ الَّتِي أَتَى عَلَيْهَا فِي حَمْلِهَا عَشَرَةُ أَشْهُرٍ مِنْ يَوْمِ طَرَقَهَا الْفَحْلُ وَقِيلَ يُقَالُ لَهَا ذَلِك إِلَى أَن تَلد وَبعد مَا تَضَعُ وَهِيَ مِنْ أَنْفَسِ الْمَالِ.

قَوْلُهُ: (يُبَارَكُ لَكَ فِيهَا) كَذَا وَقَعَ يُبَارَكُ بِضَمِّ أَوَّلِهِ وَفِي رِوَايَةِ شَيْبَانَ بَارَكَ اللَّهُ بِلَفْظِ الْفِعْلِ الْمَاضِي

(١) مجموع فتاوى ورسائل العثيمين (١٠/ ٨٨٢: ٨٦٩).

وَإِبْرَازِ الْفَاعِلِ، معناه الدعاء له بالبركة.

يستفاد من هذا:

٩- جواز الدعاء للغير بالبركة والنماء وكثرة الخير.

قوله: "فقال: أي شيء أحب إليك؟ قال: شعر حسن" لم يكتف بمجرد الشعر، بل طلب شعرا حسنا.

قوله: "الذي قذرني الناس به" أي: القرع؛ لأنه كان أقرع كرهه الناس واستقذروه، وهذا يدل على أنهم كانوا لا يغطون رءوسهم بالعمائم ونحوها.

يستفاد من هذا:

١٠- أن الإنسان إذا كان في استطاعته أن يقدم خدمة للآخرين ينبغي عليه أن يسارع في ذلك.

قوله: "فأبصر به الناس" لم يطلب بصرا حسنا كما طلبه صاحباه، وإنما طلب بصرا يبصر به الناس فقط، مما يدل على قناعته بالكفاية.

قَوْلُهُ: (فَمَسَحَهُ) أَيْ مَسَحَ عَلَى عَيْنَيْهِ.

قوله: (قال: الغنم) هذا يدل على زهده كما يدل على أنه صاحب سكينة وتواضع؛ لأن السكينة في أصحاب الغنم.

قَوْلُهُ: (شَاةً وَالِدًا) أَيْ ذَاتَ وَلَدٍ وَيُقَالُ حَامِلٌ، وقيل: إن المعنى قريبة الولادة، ويؤيده أن صاحبيه أعطيا أنثى حاملا.

قَوْلُهُ: (فَأَنْتَجَ هَذَانِ) أَيْ صَاحِبُ الْإِبِلِ وَالْبَقَرِ وَوَلَّدَ هَذَا أَيْ صَاحِبُ الشَّاةِ وَهُوَ بِتَشْدِيدِ اللاَّمِ وَأَنْتَجَ فِي مِثْلِ هَذَا شَاذٌّ وَالْمَشْهُورُ فِي اللُّغَةِ نُتِجَتِ النَّاقَةُ بِضَمِّ النُّونِ وَنَتَجَ الرَّجُلُ النَّاقَةَ أَيْ حَمَلَ عَلَيْهَا الْفَحْلَ وَقَدْ سُمِعَ أَنْتَجَتِ الْفَرَسُ إِذَا وَلَدَتْ فَهِيَ نَتُوجٌ.

والأصل في اللغة في مادة (نتج) أنها مبنية للمجهول، والإشارة إلى، صاحب الإبل والبقر، و (أنتج)، أي: حصل لهما نتاج الإبل والبقر.

قوله: (وولد هذا) أي: صار لشاته أولاداً.

قوله: "فكان لهذا واد من الإبل" مقتضى السياق أن يقول: فكان لذلك؛ لأنه أبعد المذكورين، لكنه استعمل الإشارة للقريب في مكان البعيد، وهذا جائز، وكذا العكس.

يستفاد من هذا:

١١- أن بركة الله لا نهاية لها، ولهذا كان لهذا واد من الإبل، ولهذا واد من البقر، ولهذا واد من الغنم.

قَوْلُهُ: (ثُمَّ إِنَّهُ أَتَى الْأَبْرَصَ فِي صُورَتِهِ) أَيْ فِي الصُّورَةِ الَّتِي كَانَ عَلَيْهَا لَمَّا اجْتَمَعَ بِهِ وَهُوَ أَبْرَصُ لِيَكُونَ ذَلِكَ أَبْلَغُ فِي إِقَامَةِ الْحُجَّةِ عَلَيْهِ.

وقيل: الصورة في الجسم، والهيئة في الشكل واللباس، وهذا الفرق بينهما.

يستفاد من هذا:

١٢- أن التذكير قد يكون بالأقوال أو الأفعال أو الهيئات.

١٣- جواز التمثيل، وهو أن يتمثل الإنسان بحال ليس هو عليها في الحقيقة، مثل أن يأتي بصورة مسكين وهو غني وما أشبه ذلك إذا كان فيه مصلحة وأراد أن يختبر إنسانا بمثل هذا، فله ذلك.

قَوْله: (رجل مِسْكين) وفي رواية (وابن سَبِيلٍ تَقَطَّعَتْ بِهِ الْحِبَالُ فِي سَفَرِهِ) وَالْحِبَالُ جَمْعُ حَبْلٍ أَيِ الْأَسْبَابُ الَّتِي يَقْطَعُهَا فِي طَلَبِ الرِّزْقِ وَقِيلَ الْعَقَبَاتُ وَقِيلَ الْحَبْلُ هُوَ الْمُسْتَطِيلُ مِنَ الرَّمْلِ والْحِيَالُ جَمْعُ حِيلَةٍ أَيْ لَمْ يَبْقَ لِي حِيلَةٌ ولبعض رُوَاة البُخَارِيّ الْجِبَال وَهُوَ تَصْحِيف، قَالَ ابن التِّينِ قَوْلُ الْمَلَكِ لَهُ رَجُلٌ مِسْكِينٌ إِلَخْ أَرَادَ أَنَّكَ كُنْتَ هَكَذَا وَهُوَ مِنَ الْمَعَارِيضِ وَالْمُرَادُ بِهِ ضَرْبُ الْمَثَلِ لِيَتَيَقَّظَ الْمُخَاطَبُ.

قوله: (وابن سبيل) أي: مسافر سمي بذلك لملازمته للطريق، ولهذا سمي طير الماء ابن الماء لملازمته له غالبا، فكل شيء يلازم شيئا فإنه يصح أن يضاف إليه بلفظ البنوة.

قوله: "انقطعت بي الحبال في سفري" الحبال الأسباب، فالحبل يطلق على السبب وبالعكس، قال تعالى: {فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لِيَقْطَعْ} [الحج: **١٥**]، ولأن الحبل سبب يتوصل به الإنسان إلى مقصوده كالرشاء يتوصل به الإنسان إلى الماء الذي في البئر.

قوله: "فلا بلاغ لي اليوم إلا بالله ثم بك" يعنى: لا شيء يوصلني إلى أهلي إلا بالله ثم بك، فالمسألة فيها ضرورة.

قوله: "أسألك بالذي أعطاك اللون الحسن والجلد الحسن" السؤال هنا ليس سؤال استخبار بل سؤال استجداء؛ لأن (سأل) تأتي بمعنى استجدى وبمعنى استخبر، تقول: سألته عن فلان، أي: استخبرته وسألته مالا، أي: استجديته واستعطيته، وإنما قال: "أسألك بالذي أعطاك"، ولم يقل: أسألك بالله؛ لأجل أن يذكره بنعمة الله عليه، ففيه إغراء له على الإعانة لهذا المسكين؛ لأنه جمع بين أمرين: كونه مسكينا، وكونه ابن سبيل، ففيه سببان يقتضيان الإعطاء.

قوله: (بعيرا) يدل على أن الأبرص أعطي الإبل.

يستفاد من هذا:

١٤- أنه يجوز للإنسان أن ينسب لنفسه شيئا لم يكن فيه من أجل الاختبار، لقول الملك: إنه فقير وابن سبيل.

قَوْلُهُ: (أَتَبَلَّغُ عَلَيْهِ) فِي رِوَايَةِ أَتَبَلَّغُ بِهِ وَأَتَبَلَّغُ مِنَ الْبُلْغَةِ وَهِيَ الْكِفَايَةُ وَالْمَعْنَى أَتَوَصَّلُ بِهِ إِلَى مُرَادِي.

وقيل: أي: ليس أطيب الإبل وإنما يوصلني إلى أهلي فقط.

قوله: "الحقوق كثيرة" أي: هذا المال الذي عندي متعلق به حقوق كثيرة، ليس من حقك أنت فقط، وتناسى – والعياذ بالله – أن الله هو الذي من عليه بالجلد الحسن واللون الحسن والمال.

قوله: "كأني أعرفك" كأن هناك للتحقيق لا للتشبيه؛ والمعنى: أني أعرفك معرفة تامة. (١)

قوله: "ألم تكن أبرص يقذرك الناس" ذكره الملك بنعمة الله عليه، وعرفه بما فيه من العيب السابق حتى يعرف قدر النعمة، والاستفهام للتقرير لدخوله على (لم)، كقوله تعالى: {أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ} [الشرح: ١].

قَوْلُهُ: (لَقَدْ وَرِثْتُ لِكَابِرٍ عَنْ كَابِرٍ) فِي رِوَايَةِ (كَابِرًا عَنْ كَابِرٍ) وَفِي رِوَايَةِ (إِنَّمَا وَرِثْتُ هَذَا الْمَالَ كَابِرًا عَنْ كَابِرٍ)أَيْ كَبِيرٍ عَنْ كَبِيرٍ فِي الْعِزِّ وَالشَّرَفِ.

---

(١) قال ابن عثيمين(لأنها أي الكاف إذا دخلت على جامد فهي للتشبيه، وإذا دخلت على مشتق فهي للتحقيق أو للظن والحسبان).

فنظر كيف أنكر أن المال من الله، لكنه لم يستطع أن ينكر البرص.

يستفاد من هذا:

١٥- ثبوت الإرث في الأمم السابقة، لقوله: "ورثته كابرا عن كابر".

قَوْلُهُ: (فَقَالَ إِنْ كُنْتَ كَاذِبًا فَصَيَّرَكَ اللَّهُ) أَوْرَدَهُ بِلَفْظِ الْفِعْلِ الْمَاضِي لِأَنَّهُ أَرَادَ الْمُبَالَغَةَ فِي الدُّعَاءِ عَلَيْهِ.

وقيل (إن): شرطية ولها مقابل، يعني: وإن كنت صادقا فأبقى الله عليك النعمة. (١)

قوله: "فصيرك الله إلى ما كنت عليه" أي: ردك الله إلى ما كنت عليه من القرع الذي يقذرك الناس به والفقر.

يستفاد من هذا:

١٦- جواز الدعاء المعلق، لقوله: "إن كنت كاذبا، فصيرك الله إلى ما كنت"، وفي القرآن الكريم قال الله تعالى: {وَالْخَامِسَةُ أَنَّ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ} [النور: ٧]، {وَالْخَامِسَةَ أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ} [النور: **٩**] وفي دعاء الاستخارة " اللهم إن كنت تعلم. . . إلخ ".

١٧- جواز التنزل مع الخصم فيما لا يقر به الخصم المتنزل لأجل إفحام الخصم؛ لأن الملك يعلم أنه كاذب، ولكن بناء على قوله: إن هذا ما حصل، وإن المال ورثه كابرا عن كابر، وقد سبق بيان وروده في القرآن، ومنه أيضا قوله تعالى: {وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ} [سبأ: **٢٤**] ومعلوم أن الرسول ﷺ وأصحابه على هدى وأولئك على ضلال، ولكن هذا من باب التنزل معهم من باب العدل.

---

(١) قال ابن عثيمين(فإن قيل: كيف يأتي بـ(إن) الشرطية الدالة على الاحتمال مع أنه يعرف أنه كاذب؟

أجيب: إن هذا من باب التنزل مع الخصم، والمعنى: إن كنت كما ذكرت عن نفسك، فأبقى الله عليك هذه النعمة، وإن كنت كاذبا وأنك لم ترثه كابرا عن كابر، فصيرك الله إلى ما كنت من البرص والفقر، ولم يقل: (إلى ما أقول)؛ لأنه كان على ذلك بلا شك.

والتنزل مع الخصم يرد كثيرا في الأمور المتيقنة، كقوله تعالى: {آللَّهُ خَيْرٌ أَمْ مَا يُشْرِكُونَ} [النمل: **٥٩**]

ومعلوم أنه لا نسبة، وأن الله خير مما يشركون، ولكن هذا من باب محاجة الخصم لإدحاض حجته).

قوله: "فرد الله علي بصري" أي اعترف بنعمة الله، وهذا أحد أركان الشكر، والركن الثاني: العمل بالجوارح في طاعة المنعم، والركن الثالث: الاعتراف بالنعمة في القلب.

قوله: "خذ ما شئت ودع ما شئت" هذا من باب الشكر بالجوارح، فيكون هذا الأعمى قد أتم أركان الشكر.

قَوْلُهُ: (لَا أَجْهَدُكَ الْيَوْمَ بِشَيْءٍ أَخَذْتَهُ لِلَّهِ) الْمَعْنَى لَا أَحْمَدُكَ عَلَى تَرْكِ شَيْءٍ تَحْتَاجُ إِلَيْهِ مِنْ مَالِي وفي رواية(لَا أُجْهِدُكَ) أَيْ لَا أَشُقُّ عَلَيْكَ فِي رَدِّ شَيْءٍ تَطْلُبُهُ مِنِّي أَوْ تَأْخُذُهُ.

وَيُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ قَوْلُهُ أُحَمِّدُكَ، أَيْ لَا أَطْلُبُ مِنْكَ الْحَمْدَ مِنْ قَوْلِهِمْ فُلَانٌ يَتَحَمَّدُ عَلَى فُلَانٍ أَيْ يَمْتَنُّ عَلَيْهِ أَيْ لَا أَمْتَنُّ عَلَيْكَ.

وقيل: الجهد المشقة، والمعنى: لا أشق عليكم بمنع ولا منة، واعترافه بلسانه مطابق لما في قلبه، فيكون دالا على الشكر بالقلب.

قوله: (لله)اللام للاختصاص، والمعنى لأجل الله، وهذا ظاهر في إخلاصه لله، فكل ما تأخذه لله فأنا لا أمنعك منه ولا أردك.

يستفاد من هذا:

١٨- بيان أن شكر كل نعمة بحسبها، فشكر نعمة المال أن يبذل في سبيل الله، وشكر نعمة العلم أن يبذل لمن سأله بلسان الحال أو المقال، والشكر الأعم أن يقوم بطاعة المنعم في كل شيء.

١٩- فضيلة الورع والزهد، وأنه قد يجر صاحبه إلى ما تحمد عقباه؛ لأن الأعمى كان زاهدا في الدنيا، فكان شاكرا لنعمة الله.

قَوْلُهُ: (فَإِنَّمَا ابْتُلِيتُمْ) أَيِ امْتُحِنْتُمْ، اختبرتم، والذي ابتلاهم هو الله تعالى.

يستفاد من هذا:

٢٠- أن الابتلاء قد يكون عاما وظاهراً.

قَوْلُهُ: (فَقَدْ رُضِيَ عَنْكَ) بِضَمِّ أَوَّلِهِ عَلَى الْبِنَاءِ لِلْمَجْهُولِ فِي رَضِيَ وَسَخِطَ قَالَ الْكِرْمَانِيُّ مَا مُحَصَّلُهُ كَانَ مِزَاجُ الْأَعْمَى أَصَحَّ مِنْ مِزَاجِ رَفِيقَيْهِ لِأَنَّ الْبَرَصَ مَرَضٌ يَحْصُلُ مِنْ فَسَادِ الْمِزَاجِ وَخَلَلِ

الطَّبِيعَةِ وَكَذَلِكَ الْقَرَعُ بِخِلاَفِ الْعَمَى فَإِنَّهُ لَا يَسْتَلْزِمُ ذَلِكَ بَلْ قَدْ يَكُونُ مِنْ أَمْرٍ خَارِجٍ فَلِهَذَا حَسُنَتْ طِبَاعُ الْأَعْمَى وَسَاءَتْ طِبَاعُ الْآخَرَيْنِ. (١)

وقيل: يعني: لأنك شكرت نعمة الله بالقلب، واللسان والجوارح، فلذلك رضي عنك.

قوله: "وسخط على صاحبيك" لأنهما كفرا نعمة الله – سبحانه، وأنكرا أن يكون الله منَّ عليهما بالشفاء والمال.

يستفاد من هذا:

٢١– أن هذه القصة كانت معروفة مشهورة، لقوله: "فقد رضي الله عنك وسخط على صاحبيك"

٢٢– أن من صفات الله – عز وجل – الرضا والسخط والإرادة، وأهل السنة والجماعة يثبتونها على المعنى اللائق بالله على أنها حقيقة. (٢)، (٣)

ومن جملة الفوائد أيضاً:

١– التَّحْذِيرُ مِنْ كُفْرَانِ النِّعَمِ وَالتَّرْغِيبُ فِي شُكْرِهَا وَالِاعْتِرَافُ بِهَا وَحَمْدُ اللَّهِ عَلَيْهَا.

٢– فَضْلُ الصَّدَقَةِ وَالْحَثُّ عَلَى الرِّفْقِ بِالضُّعَفَاءِ وَإِكْرَامُهُمْ وَتَبْلِيغُهُمْ مَآرِبَهُمْ.

٣– الزَّجْرُ عَنِ الْبُخْلِ لِأَنَّهُ حَمَلَ صَاحِبَهُ عَلَى الْكَذِبِ وَعَلَى جَحْدِ نِعْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى. (٤)

والحمد لله رب العالمين

(١) فتح الباري لابن حجر (٦/ ٥٠٢: ٥٠٣).

(٢) مجموع فتاوى ورسائل العثيمين (١٠/ ٨٨٢: ٨٦٩).

(٣) وانظر إكمال المعلم بفوائد مسلم (٨/ ٥١٥)، شرح المشكاة للطيبي الكاشف عن حقائق السنن (٥/ ١٥٣٣)، وشرح كتاب التوحيد لابن عثيمين وكذا شرح رياض الصالحين له.

(٤) فتح الباري لابن حجر (٦/ ٥٠٢: ٥٠٣).

المحتويات

صناعة الإرهاب..... ٢

١ـ فضل شهر اللّه المحرم وعاشوراء..... ٥

٢ـ الصفح والعفو..... ١٥

٣ـ الطريق إلى الولد الصالح..... ٢٧

٤ـ دروس وعبر من قصة الأبرص والأقرع والأعمى..... ٤١

للمشاركة أو الاستفسار

اتصل على ت مجمع التوحيد ببلبيس / 055-2847990

ولمتابعة الخطب ومحاضرات معهد إعداد الدعاة من خلال
موقع مسجد التوحيد - بلبيس

www.altawhed.net

ويمكن التواصل من خلال موقع التواصل الاجتماعي -فيس بوك-

مسجد التوحيد - بلبيس
www.facebook.com/MasjedAltawhed
أو
معهد إعداد الدعاة - بلبيس
www.facebook.com/Alm3had

واللجنة تقبل مشاركتكم من خلال خطب مكتوبة مشروطة أن تتسم بالموضوعية والمنهجية مدعمة بالأدلة النقلية من القرآن والسنة الصحيحة على أن يتم مراجعتها من قبل اللجنة وتعديلها على حسب المنهج المرسوم، والحق الأدبي – بذكر اسم صاحب الكتابة- مكفول لصاحب الخطبة